الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب واللغات
القسم: لغة وأدب عربي

المرجع:.....

جدلية الحياة والموت في معلقة لبيد بن ربيعة

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالب(ة):
سامية بن الشيخ

إشراف الأستاذ(ة):
محمد زلاقي

الشعبة : أدب عربي

التخصص :أدب قديم

السنة الجامعية : 2013/2012

وبـه نستعيـن

دعـــاء

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا و أنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا فسهل أمورنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

ربي أشرح لي صدري و يسر لي أمري و أحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانك اللهم رب العرش العظيم و الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك و عزائم مغفرتك و السلامة من كل إثم و الغنيمة من كل بر و العصمة من كل ذنب لا تدع لي ذنبا إلا غفرته و لا كربا إلا فرجته و لا حاجتي في النجاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين

آمين يا رب العالمين.

شكر وعرفان

الحمد لله على نعمه

الحمد لله على كرمه

أشكر الله عزى وجل الذي ألهمني الصبر في انجاز هذه المذكرة وها هي مسيرة خمس سنوات تحتضر، وها هي الأيام تنجلي ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ محمد زلاقي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والخالص إلى كافة الأساتذة الذين تناوبوا على دريسنا طوال المشوار الدراسي إلى كافة عمال الإدارة وكل من ساعدني في انجاز هذه المذكرة قريبا أو بعيد

مقدمـــــــــة

مقدمة:

اتسمت الحياة في العصر الجاهلي بكثير من التناقضات التي أثرت على حياة الفرد وأسهمت في توجيه تفكيره؛ كالعدل، والظلم، والسلم، والحرب، والحياة، والموت ، وقد صورها كثير من الشعراء في شعرهم، ومن هنا تبلورت في ذهني "جدلية الحياة والموت في معلقة لبيد بن ربيعة".

والجدلية هي نوع من المفارقة التي ترصد الصراع بين الحياة والموت، وقد كان حضورها قويا في هذه المعلقة.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في تقصي جوانب الحياة و الموت عند أحد كبار شعراء العصر الجاهلي.

و يطرح هذا البحث إشكاليات تقوم على أساسها هذه الدراسة منها:

1- ما مدى تأثير البيئة في تشكيل الصراع القائم بين الحياة والموت؟

2- ما هي تمظهرات هذا الصراع في معلقة لبيد بن ربيعة؟

3- ما أهم صور الحياة والموت في المعلقة؟

ويعزى اختياري لهذا الموضوع إلى أسباب علمية تمثلت في كشف أغوار هذه القضية من خلال معلقة لبيد، و إلى رغبتي في إثراء المكتبة الجامعية بهذا النوع من الدراسات، و إلى ميولي النفسية لشعراء العصر الجاهلي.

ولا يخلو هذا المجال من الدراسات السابقة التي أنارت لي الطريق مثل: "الحياة والموت في الشعر الجاهلي" لعبد اللطيف جياؤوك، و كتاب "في النص الشعري العربي" لسامي سويدان .

ويهدف هذا البحث إلى كشف اللثام عن حقيقة تصور الجاهلي للحياة والموت والصراع القائم بينهما، والوقوف عند بعض هذه الصور من خلال معلقة لبيد بن ربيعة، ورصد نظرته لهما بين القبول والرفض مما يولد إحساسا لدى المتلقي بعمق هذا التناقض.

وقد اتبعت المنهج الوصفي الذي ساعد في إعطاء تفسيرات تقرب وجهة النظر خاصة حين تعلق الأمر بوصف مظاهر الصراع في المعلقة.

وقد بني هذا البحث على مدخل، و فصلين، و خاتمة:

تناولت في المدخل الشاعر وعصره، كما تطرقت إلى تأثير البيئة في تشكيل فكرة الحياة والموت، وذلك بما فرضته من حياة قاسية متنقلة، كما رصدت نظرة الجاهلي للوجود.

و خصصت الفصل الأول لمظاهر الحياة في معلقة لبيد بن ربيعة؛ التي كانت صورة للحياة في الجاهلية. وانطلقت من مطلع المعلقة الندي بالخصوبة، الذي صور الرغبة في الحياة والاستمرار متجسدة في صورة الماء بما تحتويه من تجديد للأرض الميتة، وصورة النبات والحيوان وإعادته للحركة في الطلل الساكن، و صورة المرأة بما تحمله من معاني الخصوبة وإعادة الحياة.

و انتقلت إلى مقطع الرحلة حيث تظهر الناقة القوية المسرعة التي تواجه الصحراء وتتحدى قسوتها وتسعى للاستمرار في الرحلة.

وفي وصف الحيوان تبرز الأتان الحامل صورة بديلة للناقة بما تحمل من معاني تجدد الحياة، والبقرة الوحشية وهي تسعى إلى تحصيل الغذاء ، رغبة في الاستمرار و تدافع عن نفسها استبقاء للحياة ، كما تظهر صورة المطر لتبعث الأمل من جديد.

وفي المقطع الأخير كان حضور مظاهر الحياة قويا، إذ تطرقت إلى صور منها مثل الكرم، والشجاعة، والدفاع عن القبيلة.

و جعلت الفصل الثاني لمظاهر الموت في المعلقة انطلاقا من الطلل رمز الفناء بما شمله من صور الهدم والتعرية ما دل على الموت، و الهجر بما صحبه من زوال لمعاني الحياة، وعجز الطلل عن الإجابة.

ثم كان مقطع الرحلة مظهرا للصراع بين الحياة والموت حيث تظهر الناقة المستهلكة التي أنهكتها الأسفار، والعجز عن ورود الماء حيث تقف الأتان و فحلها في مواجهة الموت ، ثم البقرة الوحشية وهي تقف على طرف الحياة وقد فتح الموت قبضته استعدادا ليجذبها من خلال صور القتل والمطاردة.

وفي المقطع الأخير تتخذ صورة الحرب أهم مظهر من مظاهر الموت لما لها من تأثير في حياة الجاهلي .

واشتملت الخاتمة على أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة .

واعتمدت في بحثي على مراجع سهلت الدراسة منها:" قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث"ل" محمد زكي العشماوي"، و" حديث الأربعاء"ل "طه حسين"،" الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني هجري"ل "علي البطل" .

و قد صادفتني صعوبات عرقلت عملية البحث منها قلة المراجع التي تحدثت عن القضية، بالإضافة إلى عامل الزمن ،إذ شكل ضيق الوقت الممنوح لنا أهم هذه الصعاب.

و في الأخير حق علي أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي البروفيسور: محمد زلاقي الذي شجعني وقدم لي العون والنصح والإرشاد خلال هذه الدراسة ، كما ساهمت نصائحه في إثراء هذا البحث وانجازه.

كما أتقدم بالشكر للمركز الجامعي– ميلة– الذي فتح لنا المجال للبحث وسخر لنا كل هياكله من أجل تسهيل عملية البحث.

وحسبي في هذا الموضوع أني اجتهدت فإن أصبت فهذا من فضل الله عز وجل وإن أخطأت فمن نفسي.

والله الموفق

المدخل

أولا- التعريف بالشاعر:

« هــو لبيـد بـن ربيعــة بـن مالـك بـن جعفــر بـن كــلاب بـن ربيعــة بـن عامــر بـن صعصعــة بـن بكر بـن هوازن بـن منصـور بـن عكرمـة بـن خصـفة بـن قيس بـن عيلان بـن مضر».[1]

من بين الشعراء الجاهليين الذيـن أدركوا الإسـلام، وهو من أشـراف المعمريـن الفرسان تجلت شاعريته منذ صغره، فأشاد به النابغة، وعده أشعر العرب.[2]

أما عن شباب لبيد فكان كغيره من شعـراء عصـره، وقبيلتـه « مقبلا على لذائـد الحيــاة يصـيب منهــا، ولا يســرف إسـراف الأعشــى، وامــرئ القـيس فيشـرب، ولا يُـدمنُ، ويصـل ويقطـع».[3] كمـا أنـه كـان شـديد التعلـق بقبيلتـه إذ « كـان فـي الجاهليـة خيـر شـاعر لقومـه يمدحهم، ويرثيهم، ويَعُدُّ أيامهم وفرسانهم».[4]

وكان كريما في الجاهلية إذ نذر أن لا تَهُبَّ ريح الصَّبا إلا، وأنفق، واستمرت معه هذه العادة فكان في الإسلام على عهده في الإنفاق والكرم.[5]

أما عن مكانته – لبيد- بين الشعراء فقد صنّفه ابن سلام الجمحي في الطبقة الثالثة من فُحُول الجاهلية، ووصفه بأنه كـان « فارسا شجاعـا وكان عذب المنطـق رقيـق حواشـي

---

[1]- الأصفهاني،(أبو الفرج)،الأغاني، دط، عزالدين للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، دت، ج14، ص90.

[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص ص 90-96.

[3]- غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب الجاهلي قضايا أعراضه أعلامه، فنونه، ط1، دار الإرشاد،1992م ص375.

[4]- الجمحي،(محمد بن سلام)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر،ط1، دار المعارف، 1992، ص135.

[5]- ينظر ، الأصفهاني، الأغاني، ص 94.

الكلام وكان مسلما رجل صدق» [1]، وبهذا جمع بين الشجاعة والفروسية، و سلامة اللغة وخبرة شعرية عالية.

امتاز شعره بأنه « شعر الطبيعة البدوية السليمة، وهو شعر التّدقيق الرصين الذي يجمع بين الصلابة والسّذاجة».[2]

ولقد عُنيَ أهل اللغة بشعره فعمل ديوانه غير أحد منهم: أبو عمر والشيباني، والطُّوسي وابن السَّكيت، والسُّكري، كما أن معلقته شرحت مع باقي المعلقات.[3]

وقد اشتهرت « بقوة الألفاظ، ومتانة الأسلوب وبما فيها من تصوير للبادية والحياة والأخلاق فيها».[4]

كان لبيد من الشعراء المعمّرين، والمخضرمين؛ إذ عاش الجاهلية بحروبها فمدح و رثى، وافتخر، وعاش الإسلام صحابيا ملتزما ابتعد فيه عن نظم الشعر، واكتفى بالقرآن بديلا.

وقد أقام في الكوفة أيام خلافة عمرو بن الخطاب–رضي الله عنه– وتوفي بها أيام معاوية فكان عمره مئة، وخمسة وأربعين سنة.[5]

---

[1]– الجمحي،(محمد ابن سلام)، طبقات فحول الشعراء، ص135.

[2]– حنّا الفاخوري، الجامع، في تاريخ الأدب العربي، ط1، دار الجيل، بيروت – لبنان، ص 282.

[3]– ينظر لبيد بن ربيعة، الديوان، ط2، دار صادر، بيروت – لبنان، 1963، ص 10.

[4] – محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص305.

[5]– ينظر، الأصفهاني،(أبو الفرج)،الأغاني، ج14، ص96.

ثانيا: أثـر البيئـة في الشعر الجاهلـي

تعتبر البيئة الصحراوية المهد الذي نشأ فيه الشاعر الجاهلي وترعرع، فكان شعره شديد الصلة بها، وانعكاسا لمظاهرها، فحاكى الصحراء في حرّها، وبردها، وأمطارها، ووصف جبالها، ونباتها، وحيواناتها.

وقد اتسمت هذه البيئة الصحراوية بالقساوة والجفاف، وتذبذب الأمطار، هذه العوامل أجبرت العربي على عدم الاستقرار، و الترحال، فوصف في شعره رحلة البحث عن منابع المياه طلبا لاستمرار الحياة، وكان في صراع دائم مع البيئة؛ فتارة يكون في مواجهة الظروف الطبيعية، وأخرى ضحية لحروب وغارات فرضت عليه، أو ضحية وحش شاركه الصحراء.

وقد انعكس هذا الصراع في شعره، فكان صورة واضحة المعالم لهذه البيئة، كما ساهم في تشكيل فكرة الحياة والموت لدى الجاهلي.

1- تأثير فكرة الحياة والموت في الشعر الجاهلي:

لقد كانت حياة العرب في الجاهلية قائمة على الصراع من أجل مراعي الكلأ، وموارد المياه، والغزو على ممتلكات القبائل خاصة « لمَّا كانت الطبيعة الصحراوية لجزيرة العرب تتصف بالقسوة بسبب ندرة المياه، وضآلة الموارد فقد اتسمت حياة أعراب البادية بعدم الاستقرار، والتنقل، والارتحال، وكثرة الصراع، والتشاحن بينهم، كما أصبحت الغارات للاستيلاء على قطعان الماشية، وممتلكات الغير من العادات الطبيعية التي انتشرت بين البدو».[1]

كل هذه الظروف ساهمت في تأزم حياة العربي وتعميق إحساسه بالفناء يقول حاتم الطائي:[2]

[1]- محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام،ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ص57.

[2]- حاتم الطائي، الديوان، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ص 122.

يَسْعَى الفَتَى وَحمَامُ المَوْت يُدْرِكُهُ وَكُلُّ يَوْم يُدنَى للْفَتَى الأَجَلُ

فالجاهلي يعيش حياته متأملا مترقبا للموت الذي يترصده، مُتَيَقنًا من حَتْميَّته. فالظروف البيئية القاسية هي التي فرضت على العرب الجاهليين طابع الكآبة والحزن إذ « كانوا يسكنون بقعة صحراوية تصهرها الشمس ويقل فيها الماء، ويجفُّ الهواء، وهي أمور لم تسمح للنبات أن يكثر، ولا للمزروعات أن تنمو، إلا كلأً مبعثرًا هنا، وهناك، وأنواعا من الأشجار استطاعت أن تتحمل القائظ، والجو الحار».[1]

وقد فرضت هذه الطبيعة القاسية، والبيئة الجافة على الجاهلي « أن يكون محاربا غازيا، فقد حرمته الطبيعة من خيرات هذه الدنيا، ومن طيبات ما تنبت الأرض».[2]

وأدى هذا الحرمان إلى البحث عن حلول، وإن خرجت عن العرف الاجتماعي، كغزو القبائل لبعضها، وتشكل جماعات من قطاع الطرق، و « انتشرت العصابات التي اتخذت من الغزو، والإغارة، و الفتك، وقطع الطرق وسيلة للمعيشة»[3]، فكانت هذه العصابات

تتربص في المناطق الوعرة المطلة على الطرق التجارية من أجل الاستيلاء على متاع التجار، وأموال المسافرين.

كان الجاهلي دائم القلق من مصيره، فهو إذا لم تهلكه الظروف البيئية القاسية، والغارات والحروب، كان ضحية الوحوش التي تشاركه الصحراء، فالجاهليون« دائما مفزعون حتى في النوم، فإذا ناموا لم ينم قلبهم بل يضل يكلؤهم، ويرعاهم خيفة عدو راصد من وحش أو

---

[1]– أحمد أمين، فجر الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969م، ص45.

[2]– جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ج1 ص335.

[3]– محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام، ص 58.

إنسان»[1]، فاليقظة واجبة لعربي أتعبته الحروب والغارات، واختطفت منه أحب الناس، يقول عبيد بن الأبرص: [2]

فَأَذْهَبَهُمْ مَا أَذْهَبَ النَّاسَ قَبْلَهُمْ ضرَاسَ الحُرُوب وَالمَنَايَا العَوَاقبُ[3]

وقد ساهمت عناصر الطبيعة مع الزمن في صنع الفناء وتعميق مفهومه لدى العرب، ووضع مفهوم الحياة في ظل الظروف المحيطة به « ولقد واجه الجاهليون الموت بحبّهم للحياة، ودفاعهم عن حقيقتهم في مواجهة كل الأخطار»[4]، فكانت وسيلة العربي لرد الموت هي التعلق بمجموعة من اللذات كالاستغراق في شرب الخمور،« فالحياة لهو، ولعب، إنها تلهيه؛ يلهى بها الإنسان ريثما يدركه الموت»[5]

فكان يستمتع بحياته، وشبابه، ويشرب حتى ينسى نهايته الحتمية يقول عبيد بن الأبرص[6]

كَـانَ الشَّبَـابُ يُلْهينَـا وَيُعْجبُنَـا فَمَـا وَهَبْنَـا وَمـَا بِعْنَـا بأَرْبـاح
إِنْ أَشْرَبِ الخَمْرَ أَوْ أَرْزَأْ لَهَا ثَمنَا فَـلاَ مَحَالَـةَ يَوْمًـا أَنَّنِـي صَاحِـي[7]
وَلاَ مَحَالَـةَ مـنْ قَبْـرٍ بِمَحْنيَّـةً وَكَفْـنٍ كَسَـرَاةِ الثُّـورِ وَضَـاحِ

ونجد امرئ القيس يحثّ على التمتع في الدنيا، لأن النهاية واحدة، وهي الموت وكل المخلوقات فانية يقول:[8]

تَمَتَّعْ مِـنَ الدُّنْيَـا فَإِنَّـكَ فَـانِ مِـنَ النَّشَـوَاتِ وَالنِّسَـاءِ الحِسَـانِ[9]

---

[1]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج1، ص 79.

[2]– عبيد بن الأبرص، الديوان، ص45.

[3]– أذهبهم: أفناهم، ضراس الحروب : عنفها، العواقب: متعاقبة مرة بعد مرة.

[4]– حنّى عبد الجليل يوسف، الأدب العربي قضايا وفنون ونصوص،ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2011م، ص317.

[5]– أحمد وهب رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، 2000م، ص273.

[6]– عبيد بن الأبرص، الديوان، ص45.

[7] – أَرْزَأ: أدفع.

[8]– امرؤ القيس،الديوان، تحقيق:حسن السندوبي، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ– 2004م، ص166.

[9]– النشوات: السكرات

مِنَ البَيْضِ كَالآرَامِ وَالأَدْمِ كَالدُّمَى حَوَاصِنُهَا وَالمُبْرِقَاتُ رَوَانِ[1]

وإذا كان امرؤ القيس قد حث على التمتع في الدنيا بالإقبال على النساء الحسان فإن طرفة بن العبد جعلها في الخمرة، والمرأة، وإغاثة الملهوف ونصرته بقوله:[2]

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَذَرْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ حَاجَةِ الفَتَى وَجَدّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي[3]
فَمِنْهُنَّ سَبْقِي العَاذِلَاتِ بِشَرْبَةٍ كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعَلَ بِالمَاءِ تُزْبِدِ[4]
وَكَرِّي إِذَا نَادَى المُضَافُ مُحَنَّبًا كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهتُهُ المُتَوَرِّدِ[5]
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنُ مُعْجِبٌ بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ[6]
كَأَنَ البُرِينِ وَالدَّمَالِيجَ عُلِّقَتْ عَلَى عُشَرٍ أَوْ خِرْوَعٍ لَمْ يُخَضَّدِ[7]
فَذَرْنِي أُرَوِّي هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا مَخَافَةَ شُرْبٍ فِي الحَيَاةِ مُصَرَّدِ[8]
كَرِيمٌ يُرَوِّ نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ سَتَعْلَمُ إِنْ مُتْنَا صَدَى أَيُّنَا الصَّدِي

كما أكثر الشعراء من وصف الخمر، وأنواعها ومجالسها يقول عمرو بن كلثوم:[9]

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَأَصْبِحِينَا وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

---

[1]– الآرام: أولاد الظباء، الأدم: السمر، كالدمى: كالتماثيل المنحوتة على أشباه الحيوانات، حواصن: عفيفات المبرقات: يظهرن بريق حليهن.

[2]– طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق: درية الخطيب، لطفي الصقال، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان،2000م، ص45،46.

[3]– لم أحفل: لم أبال، العود: من يعوده في مرضه.

[4]– الكميت:الحمراء تضرب للكلفة، تزبد: إذا صب عليها الماء صار زبدا.

[5]– الكر:العطف، المضاف: الذي أحاط به العدو، محنبا: فرسا في يديه الحناء، السيد: الذئب، الغضا: شجر.

[6]– الدجن: إلباس الغيم السماء، البهكنة: التامة الخلق الحسنة، الطواف: البيت من أدم، الممدد: المشدود بالأطناب.

[7]– البرين:الخلاخيل ، العشر : شجر أملس لين العود ،الخروع : كل نبت ناعم ، لم يخضد : لم يثن ليكسر .

[8]– مصرد: يقطع قبل الري.

[9]– عمرو بن كلثوم، الديوان،تحقيق : اميل بديع يعقوب،ط1، دار الكتاب العربي ،بيروت، لبنان،1411 هـ-1991 ص66.

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحصَّ فِيهَا إِذَا مَا المَاءُ خالَطَهَا سَخِينَا

و إذا كان من الشعراء من آثر الاستمتاع باللذات الدنيوية ، فإن منهم من فضل مواجهة الموت بتحدي المخاطر يقول حاتم الطائي[1] :

أَخُو الحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا وَ إِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّـرَا

وَإِنِّي إِذَا مَا المَــوْتُ لَمْ يَــكُ دُونَـــهُ قَدَى الشِّبرِ إِنْ أَحْمِي الأَنْفَ إِنْ أَتَأَخَّرَا

إن المتتبع لما وصلنا من شعر الجاهليين ليجد أن هذا الشعر تعبير عن بيئة ساد فيها الصراع ضد الموت من أجل الحياة، و ضمان البقاء. فاتصفت حياتهم عامة بالحروب و الاقتتال، حيث استغرقت هذه الحروب سنين طويلة كحرب داحس و الغبراء، و منها ما دام أياما قليلة بسبب مناوشات بين القبائل، و قد أراقت هذه الحروب دماء الأقارب

و الأحباب، و فرقت أبناء العمومة و نشرت العداء بينهم، إضافة إلى البيئة التي سكنها العربي، والعوامل الطبيعية، و مرور الزمن و تعاقب الليل و النهار، كلها عوامل أثرت في الجاهلي و عكست نوعا من القلق الوجودي في قصائده و أشعاره، فاستهلها ببكاء الأطلال

و استذكار الأحبة، فاتسمت قصائده بالحديث عن مفارقة الحياة و الموت و بدا تأثير هذه الفكرة واضحا على أشعاره، و انعكست فيها نظرته للوجود .

1- حاتم الطائي ، الديوان ، ص 63 .

2- نظرة الجاهلي للوجود

إن حياة الجاهلي في تلك الصحراء المهلكة التي تكاد أحيانا تنعدم فيها شروط الحياة جعلته يتأمل أسرار الكون بعمق، ويفكر في المعنى الفلسفي للحياة، والموت متسائلا عن سر وجوده، وعن مآله وهو يرى الأرواح تنتزع أمامه، فيفقد تارة قريبه وأخرى صديقه، أو حبيبته وهكذا « أدرك الجاهلي أن كل يوم يمر من حياته يمثل قربا من نهايته»[1]خاصة وأنه كان يعيش قلقا خائفا من المجهول، ومما تُخبؤه له الأيام؛ إذ « إن فقدان الإحساس بغائية الوجود جعل القلق ، والخوف يسيطران على وعي الجاهلي بدرجة كبيرة »[2] فأخذ يتساءل عن سر الوجود، وعن خالق هذا الكون، وحاول الإجابة عن تساؤلاته حسب فكره المتواضع، وبما أتيح له من تصورات، فجسد القوة الخفية المتحكمة في الكون في الأصنام؛ التي عبدها و قدم لها القرابين، وقد نقل القرآن أسماء كثيرة لها، ونذكر أشهرها: اللات، والعزى، ومناة يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم<< أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ >>[3].

كما نقل الشعر أسماء هذه الأصنام؛ التي اقسم بها الجاهلي، واستعان بها لقضاء مطالبه وحاجاته، يقول أوس بن حجر:[4]

وَبِالـلَّاتِ وَالعُـزَّى وَمَنْ دَانَ دِينَهَـا وَبِاللهِ إِنَّ اللهَ مِنْهُـنَّ أَكْبَـرَ

ويذكر عبيد بن الأبرص اسم صنم لجديل، وهو"اليعبوب" في قوله:[5]

فَتَبَدَّلُـوا اليَعْبُـوبَ بَعْـدَ إِلَهِهِـمْ فَقَـرُّوا يَا جَديـلَ وَأعذِبُـوا[6]

---

[1]- حنى عبد الجليل يوسف،الأدب العربي قضايا ،فنون ونصوص،ص301.

[2]- المرجع نفسه، ص303.

[3]- سورة النجم، الآية، 19-22.

[4]- أوس بن حجر، الديوان، تحقيق: محمد يوسف نجم، دط ، دار بيروت، بيروت، لبنان، 1400هـ- 1980م، ص36.

[5]- عبيد بن الأبرص، الديوان، ص29.

[6]- اليعبوب: صنم، قروا: اسكنوا، أعذبوا: كفوا.

فكان لجوء الجاهلي إلى هذه الأصنام مبررا لخوفه من الموت واستعانته بالحياة بديلا عن الفناء المتربص بهم، هذا الفناء الذي تستطيع القوى المتحكمة في الكون دفعه، وإبعاده.

إن الموت الذي كان يخشاه الجاهلي كان ناتجا عن تعاقب الليل والنهار، فعد الدهر مهلكا له، ويتجلى ذلك في قوله تعالى:« وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ »[1] ، وفي تفسير هذه الآية

يقول الزمخشري:« كانو يظنون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت، وقبضة الأرواح»[2] ،وقد ترسخت هذه الفكرة عندهم وآمنوا بها في كثير من أشعارهم يقول امرؤ القيس:[3]

أَلَا إِنَّمَا الدَّهْرُ لَيَالٍ وَأَعْصُر وَلَيسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٍ بِمُسْتَمَرْ

ويحذر من الدهر في قوله:[4]

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ خَثُورُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجَالا[5]

أَزَالَ عَنْ المَصَانِعِ ذَارَيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ وَالجِبَالَا[6]

وَأَنْشَبَ فِي المَخَالِبِ ذَامَنَارٍ وَلِلزَّرَّادِ قَدْ نَصَبَ الحِبَالَا[7]

أما عبيد بن الأبرص فيرى في الدهر سببا لهلاك الديار، ودمارها في قوله:[8]

---

[1]– سورة الجاثية، الآية 24.

[2]– الزمخشري، الكشاف، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود علي محمد عوض،ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،1997م، ج5 ص487.

[3]– امرؤ القيس، الديوان، ص73.

[4]– المصدر نفسه، ص ص151،150.

[5]– الخثور: الغادر.

[6]– المصانع: الحصون، ذارياش: الرائش بن قيس من ملوك اليمن.

[7]– ذومنار: أبرهة بن الرائش، الزراد: صانع الدروع.

[8]– عبيد بن الأبرص، الديوان، ص35.

دَارُ حَـيّ أَصَابَهُـمْ سَالِـفَ الدَّهْـرِ فَأَضْحَـتْ دِيَّـــارُهُمْ كَالخِــلَالِ[1]

وقد أكثر الشعراء من الحديث عن الدهر وويلاته وما ينتج عنه من تفرق الأحبة ومثلوه في« صورة مشخصة تبعث على الرهبة والفزع، فكان في أذهانهم تارة قانصا يتحين غرة ليرمي على صيده، وتارة أخرى محاربا فتاكا يبطش بمن ينازله، وتارة ثالثة مخادعا محتالا يتلاعب بالإنسان»[2]، فحملت لنا الأشعار الجاهلية العداء الذي يكنه الجاهلي للدهر خاصة من « حقيقة أن مرور الزمن يصحبه النسيان، والنسيان فناء، والفناء مضاد للحياة، والحياة غاية في ذاتها»[3] ولكن على الرغم من ذلك يبقى الموت أمرا حتميا ،لا سبيل لتجنبه ومنع حدوثه.

كما رأى الجاهلي أن المنايا أمر مقدر ونهاية كل حي يقول عمرو بن كلثوم:[4]

وَإِنَّـا سَـوْفَ تُدْرِكُنَـا المَنَايَـا مُقَـدَّرَةً لَنَـــا وَمُقَدَّرِيـــنَـا

ومع هذه النهاية الحتمية حاول الجاهلي تخليد نفسه، واستمرار ذكره بعد موته عن طريق أفعاله وأشعاره، فكان كريما مع ضيوفه ليُحْمَدَ ذكره بين الناس، ويبقى الكرم صفة تخلد اسمه، أو شجاعا في الحرب تشهد له بسالته، او شاعرا فحلا يقول عروة بن الورد:[5]

أَحَادِيثُ تَبْقَـى والفَتَـى غَيْرُ خَالِـدٍ إِذَا هُـوَ أَمْسَـى هَامـةً فَـوْقَ صُيَّـر[6]

وقد ربط امرؤ القيس الخلود بالسعادة في قوله:[7]

وَهَـلْ يَعْمِـنْ إِلاَ سَعِيـدٌ مُخَلَّـد قَلِيـلُ الهُمُـومِ ما يَبِيـتُ بِأَوْجَـالِ

---

[1]– الخلال: ج خلة وهي جفن السيف المغطى ببطانة منقوشة.

[2]– مصطفى عبد اللطيف جباؤوك، الحياة والموت في الشعر الجاهلي،ط5، دار صفاء للنشر،عمان،2001م، ص471.

[3]– حنى عبد الجليل يوسف،الأدب العربي قضايا فنون ونصوص، ص310.

[4]– عمرو بن كلثوم،الديوان، تحقيق:اميل بديع يعقوب،ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،1411هـ–1991م، ص64.

[5]– عروة بن الورد، الديوان.

[6]– صُيَّر: حجارة تجعل كالحظيرة زربا للنعام.

[7]– امرؤ القيس، الديوان، ص122.

بهذا قصر الجاهليون الخلود باستمرار الحياة الدنيوية، مما جعلهم« لا يرون إمكانية الخلود بعد الموت يرجع إلى عدم وجود دين يفسر لهم مغزى الوجود»[1].

كما أن فكرة البعث لم تكن غائبة عنهم« ولا شك أنهم سمعوا، وعرفوا شيئا عن الحياة بعد الموت، لكنهم على الرغم من ذلك رفضوه»[2]. فكان شغلهم الشاغل أن يعيشوا اللحظة الراهنة بكل أبعادها، فالاستغراق في اللذات، واللهو كان أكثر واقعية بالنسبة للفرد الجاهلي من الإيمان بالبعث، فقضايا الوجود شغلت باله وأرقته فتأمل الكون، وفكر في الخلق و رأى أن لكل حياة نهاية حتمية للإنسان والحيوان على السواء، نهاية يفرضها الدهر.

ولقد حاول تجاوز هذه النهاية عن طريق تخليد نفسه أو أعماله، فجسد أهم هذه القضايا في شعره، وكان عمل الشعراء « يتصل بالوجود الإنساني المطلق، ويتعلق بالخلود ويطلب استمرار الحياة»[3].

وبهذا كان الشعر السجل الذي نقل لنا نظرة العربي للوجود، وموقفه منه.

---

[1]– حنى عبد الجليل يوسف، الأدب العربي قضايا فنون و نصوص، ص320

[2]– المرجع نفسه، ص ن.

[3]– المرجع نفسه، ص325.

الفصل الأول

مظاهر الحياة في معلقة لبيد بن ربيعة

الفصل الأول: مظاهر الحياة في معلقة لبيد بن ربيعة

أولا: صور البقاء في الطلل

1- صورة الماء في الطلل

2- صورة النبات والحيوان في الطلل

3- صورة المرأة في الطلل

ثانيا: مظاهر الحياة في مقطع الرحلة

1- مظاهر الحياة في وصف الناقة

أ- الناقة القوية

2- مظاهر الحياة في وصف الحيوان

أ- صورة الأتان الحامل

ب- صورة البقرة الوحشية

ب1- السعي لتحصيل الغذاء

ب2- الدفاع عن النفس

ب3- صورة المطر

ثالثا: مظاهر الحياة في المقطع الأخير

1- الخمر

2- الدفاع عن القبيلة

3- الكرم

مظاهر الحياة في معلقة لبيد بن ربيعة:

تمهيد:

الشعر الجاهلي مرآة للبيئة القاسية والظروف القاهرة التي يعيشها العربي، إذ عبر عن عواطفه أشجانه، كما حاول من خلاله أن يتجاوز مأساة الواقع، وأزمة المصير، والنهاية الحتمية التي أرّقت تفكيره، وأتعست حياته، فكانت قصائده صورة الصراع ضد الفناء من أجل حفظ البقاء.

وتعد معلقة لبيد بن ربيعة من بين القصائد التي نقلت لنا هذا الصراع، حيث عبرت عن مفارقة الحياة، والموت، وهذا ما نسعى للكشف عنه من خلال هذه الدراسة.

أولا: صور البقاء في الطلل:

إن الحس القاتل بالفناء الذي يتهدد الجاهلي جعل من الشعراء يحاولون بث الحياة في أطلال تعاقبت عليها الأزمنة، والحقب، فكانت« مشاهد الخراب هي الرحم الذي تولد منه الحياة،وهذا يعطي المقدمة الطللية سمتها البعثية الخالصة»[1] فالشاعر يحاول بعث الحياة في هذه الديار الدارسة، والأطلال البالية، وهذا ما فعله لبيد في معلقته« فقد جاءت رؤيته في مطلع القصيدة ندية بالخصوبة ، والنماء، إذ عملت العوامل الطبيعية على تحويل جنبات الطلل إلى روضة علا في جنباتها النبت، وصارت مأوى للظباء ...بما فيه من وسائل العيش، وطيب الإقامة»[2] ومن صور البقاء واستمرار الحياة وجود الماء.

1- سعيد حسن كمونى، الطلل في النص العربي، دراسة في الظاهرة مظهر للرؤية العربية،ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، 1419هـ-1999م، ص43.

2- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 1429هـ-2008م، ص ص216،217.

1- صورة الماء في الطلل:

كانت حياة العربي قائمة على الصراع من أجل موارد المياه التي تضمن الحياة والاستمرار خاصة وأنه يعيش في صحراء قاحلة نادرة المياه تجف في كثير من الأحيان جراء الحرارة الشديدة، فتتأزم حياة العربي، ويضطر إلى الرحيل طلبا لمصدر الحياة مصداقا لقوله تعالى: « ...وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ »[1]، وقوله:« وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ »[2].

إن صفة بعث الحياة عن طريق الماء مثلت مظهرا من مظاهر استمرار الحياة في معلقة لبيد التي يستهلها بذكر الأطلال، وما فعلت بها السيول:[3]

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فرِجَامُهَا[4]

فَمَدافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلَقاً كما ضَمِنَ الوِحيُ سِلامُهَا[5]

دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنِيسِهَا حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُها وَحَرامُها[6]

رُزِقَتْ مَرابِيعَ النُّجومِ وَصَابَهَا وَدْقُ الرَّواعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُها[7]

مِنْ كُلِّ سارِيَةٍ وغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِب إِرزَامُهَا[8]

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية 30.

[2]- سورة فصلت، الآية 39.

[3]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص163.

[4]- عفت: لازمت، المحل: ما حل في الأيام المعدودة، المقام: ما طالت به الإقامة، منى: موقع بحمى ضرية، تأبد: توحش الغول والرجام: جبلان معروفان.

[5]- المدافع: أماكن يندفع عنها الماء، الريان: جبل معروف، الوحي: الكتاب، السلام: الحجارة.

[6]- التجرم: التكمل والانقطاع، العهد: اللقاء، الحجج: السنوات، الخلو : المضي.

[7]- مرابيع النجوم: الأنواء الربيعية، الصوب: الإصابة، الودق: المطر، الجود: المطر التام، الرواعد: ذوات الرعد من السحاب الرهام: المطرة التي فيها لبن.

[8]- السارية: السحابة الماطرة ليلا، المدجن: الملبس آفاق السماء، الارزام: التصويت

إن مشهد الماء الذي وهبته السماء لهذه الديار الدارسة هو نداء الأمل في نفس الشاعر فبعد أن أجبر الجفاف أهلها على الرحيل أصبحت الأراضي خصبة بفعل المطر الذي اختلفت أنواعه، فمنه ما كان تاما مرضيا، وما كان سهلا لينا،« فجمع بها أمطار السنة؛ لأن أمطار الشتاء أكثرها يقع ليلا، وأمطار الربيع أكثرها غداة، وأمطار الصيف أكثرها عشيا».[1]

إن تتابع الأمطار بتعاقب الحقب، حول الأطلال إلى ديار تملأها الحياة، فكان حضور الماء المؤشر لعودة الحياة فيها، والأمل لاستمرارها.

لقد مثل المطر مصدرا للإخصاب، والنماء، والبعث؛ إذ لاحت علاماته في السماء معلنة هذه البداية الجديدة التي أدت إلى تحول الأطلال من آثار كشفتها السيول إلى مكان مليء بالحياة فسكنته مختلف الحيوانات التي اطمأنت بعد رحيل الإنسان، وعلت فيه النباتات.

إن الخصوبة التي بعثها الشاعر في الطلل عن طريق الماء مثلت انتصار الحياة على الفناء السابق، كما كان الماء الدافع الذي ساهم في بث الأمل من جديد؛ إذ« يعتبر من أهم رموز الحياة وضوحا في ذهن الإنسان، الجاهلي فهو أساس الحياة، ومقومها الرئيسي»[2] لهذا لجأ إليه الشاعر بعد أن ضاق بصور الفناء فبث الخصوبة في الأرض عن طريق المطر الذي بعث به الحياة في كل مكان.

---

[1]– الزوزني،(أبي عبد الله الحسين بن أحمد)، شرح المعلقات السبع الطوال،ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان دت، ص162.

[2]– ابتسام نايف صالح أبو الرب، صورة الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي، (ماجستير)، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: إحسان الديك،2006م، ص211.

2- صورة النبات والحيوان في الطلل:

مهدت الظروف الطبيعية لعودة الحياة وتجددها، فبعد أن انهمر المطر على هذه الأرض الجافة أخرجت ما بجوفها من نباتات، ما وفر الجو المناسب للحيوانات التي سكنت فيها باختلاف أنواعها، يقول لبيد:[1]

وَأَطْفَلَتْ فَعَلا فُرُوعُ الأَيْهَقانِ وَنَعامُها بالَجلْهَتَيْـنِ ظِباؤُهـا[2]

وَالْعَيْنُ ساكِنَةٌ على أَطْلائِها مُها عُوَذاً تَأَجَّلُ بالفَضاءِ بِها[3]

وقد ارتفعت النباتات على جانبي الوادي فوفرت الكلأ، ومن بينها نبات الأيهقان الذي يمثل « توسطا بين الحياة اللاإنسانية، وبين الحياة الإنسانية، فهو نبات بري، لكن كل من الإنسان والحيوان يستطيع أن يأكله».[4]

حاول الشاعر تجاوز الواقع المأساوي، والطلل الماثل أمامه بآليات كثيرة، فبعث الحياة فيه عن طريق المطر الذي أحيا النباتات من جديد، الأمر الذي أغرى الحيوانات، فنزحت إلى تلك الأماكن، واطمأنت إليها بعد رحيل الإنسان الذي ترهبه، وتخشاه.

إن هذه العلاقات السببية ما هي إلا رغبة من الشاعر في تجاوز الوحدة التي خلفتها الحبيبة الراحلة، وإعمار المكان فلم يجد في الصحراء سوى رفيقه الحيوان الذي شاركه البيئة وملأ حياته.

إن الصدمة التي سببتها صورة الموت في الطلل جعلت الشاعر يحاول التخلص من الإحساس القاتل بالفناء، فاستدعى الحيوانات لتكون بديلا عن الإنسان، وتمثل حياة جديدة

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص ص،164،165.

[2]- الايهقان: ضرب من النبت وهو الجرجير البري، أطفلت : صارت ذوات أطفال، الجلهتان: جانب الوادي.

[3]- العين: واسعات العيون، الطلإ: ولد الوحش حين يولد إلى أن يأتي عليه شهر، العوذ: الحديثات النتاج،الأجل: القطيع من بقر الوحش، الفضاء: الصحراء، البهام: أولاد الضأن إذا انفردت،وإذا اختلطت بأولاد الماعز.

[4]- كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976،ص60.

وتضفي الحركة في الأطلال الساكنة« وتبرز الأسرة الحيوانية، وهي تتحرك بين أرجاء الخراب فتثير في نفس الشاعر فرحا، وسرورا فالحياة مازال فيها بقية من نبض يقاوم معاول الدهر فيبتهج الشاعر لهذا المشهد الذي أنطق صمت الطلل، وحرك سكونه»[1]، خاصة أن هذه الحيوانات باختلاف أنواعها- من ظباء، ونعام، وبقر الوحش- تملك طاقات الخصوبة وإمكانات التوالد ما يمكنها ملأ الفراغ الذي تركته الظاعنة معيدة- الحيوانات- إليه معاني الحياة والحركة إذ إن« الزمن نفسه الذي استطاع أن يغير وجه الأرض، ويخلق من السكون حركة».[2]

وبهذا تتغلب إرادة البقاء بنوع جديد من الحياة الحيوانية التي وفرتها ظروف الطبيعية « فالمكان في التجربة الشعرية الجاهلية يملك إمكانية الإنجاب ومواصلة الحياة من خلال الحيوانات التي تأهله بعد البشر»[3]

وما يلاحظ في كل من هذه الحيوانات التي مثلت الحياة الجديدة «الغياب المطلق للذكر (الآباء) من السياق المكاني، الإناث وحدهن هناك، وهي القوة المباشرة للتوالد وتجديد الحياة».[4]

يقدم لبيد صورة الظباء وقد أطفلت، والنعام وقد باضت إناثها وتكاثرت، بالإضافة إلى صورة البقرة، وهي ترضع صغارها؛ التي ستصبح قطعانا في الصحراء، وقد ركز في هذه الصور على صغار الحيوانات« كون صغير الحيوان رمزا لتجدد الحياة، واستمرارها، فإذا

[1]- سعد عبد الرحمن العرفي، سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي، دراسة في المضمون والنسيج الفني، (رسالة دكتوراه) جامعة أم القرى، إشراف، عبد الله إبراهيم الزهراني،1426هـ،ص71.

[2]- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القيم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت،1979، ص147.

[3]- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص215.

[4]- كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، ص60.

كان القدم، ومرور الزمن هو ما أفنى الطلل، فإن صغر الحيوان، وحداثة نتاجه محو لمعاني الفناء، ودليل على تدفق مجاري الحياة، وقفز مياهها فوق سدود الموت».[1]

وبهذا يشكل حضور النبات، والحيوان في الطلل بعثا للحياة، ووجها آخرا لاستمرارها.

3- صورة المرأة

شغلت المرأة باعتبارها رمزا للخصوبة حيزا كبيرا في الشعر الجاهلي، حيث« مثلت محور المقدمة الطللية، فالوقوف على الطلل لم يأت إلا طلبا للمرأة الظاعنة التي رحلت بعد أن أقفر المكان».[2]

وقد استهل لبيد معلقته بذكر ديار الأحباب الراحلين، حيث قال:[3]

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فرِجَامُهَـــا

فَمَدافِعُ الرّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلَقاً كما ضَمِنَ الوِحيُ سِلامُهَا

دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنِيسِها حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُها وَحَرامُها

إن ملازمة الشاعر لديار الحبيبة الراحلة يعبر عن مكانتها لديه، إذ إنها مثلت الحياة السعيدة.

وهو لا يكتفي بملازمة الأماكن التي سكنتها طويلا فقط، بل يلازم أيضا الأماكن التي أقامت فيها لأيام معدودة أيضا.

[1]- سعد عبد الرحمن العرفي، سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي ،ص71.

[2]- زياد محمود مقدادي، المقدمة الطللية عند النقاد المحدثين،ط1، عالم الكتب الحديث، بيروت لبنان،1431هـ 2010م ص144.

[3]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص163.

فالشاعر« يحن لماضيه في آثار الحبيب النازح، ويبعث بوصفه لتلك الآثار الحائلة ذكرى ماض لا يزال حيا مشبوبا في أطواء نفسه».[1]

فهذه الأطلال هي ما تبقى من ذكريات الحبيبة التي كانت تملأ المكان، وتمثل الحياة السعيدة بالنسبة للشاعر.

إن استدعاء المرأة في الطلل هو محاولة لطلب الخصب، والنماء، ورغبة في عودة الحياة فبرحيل الحبيبة اختفت مظاهر الوجود الإنساني، وبالوقوف على ديارها بعث للحياة من جديد في نفس الشاعر من خلال الذكريات.

كما تحدث لبيد عن السيول، وما فعلته بالديار مشبها إياها بالوشم الذي تتزين به المرأة حيث قال:[2]

وَجَلا السّيُولُ عَنِ الْطّلولِ كأنّها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهـا أَقْلامُهـا

أَوْ رَجْعُ وَاشِمَة أُسِفَّ نَؤُورهُا كِفَفاً تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وَشامُها

وقد عملت السيول على كشف الأطلال بعد أن غطاها التراب، كتجديد الأقلام للكتابة وإظهار المرأة للوشم، حيث ذكر في الطلل« رمزا لإرادة الحياة، وأعلام الجماعة كما تعد الظاهرة تعويذة ضد الفناء الذي يهدد الأطلال الصامتة، والموحشة».[3]

وقد قام الشعراء باستحضار الوشم الذي تتزين به المرأة« على أنه نوع من الحرز أو التعوية التي تحمي صاحبها من الشر الذي ترسله الآلهة على البشر إذا ما غضبت وهو في الوقت نفسه رمز الخصب، والنماء».[4]، وبهذا عد الوشم في معلقة لبيد رمزا لتجدد الحياة، واستمرارها.

---

[1]– محمد غنيمي هلال، في النقد التطبيقي والمقارن ،دط، نهضة مصر، الفجالة، القاهرة ،دت، ص33.

[2]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص165.

[3]– سعد عبد الرحمن العرفي، سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي، ص71.

[4]– فضل بن عمار العماري، الدم المقدس عند العرب، ط1،مكتبة التوبة، الرياض، 1425هـ–2004م، ص79.

ويواصل الشاعر حديثه عن المرأة فيتذكر لحظة الرحيل، والفراق؛ حين اعتلت النساء هوادجهن، يقول:[1]

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حينَ تَحَمَّلوا فتَكَنَّسوا قُطُناً تَصِرُّ خِيَامُها[2]

مِنْ كلُّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّةُ زَوْجٌ عَلَيْـه كِلَـة وَقِرَامُهـا[3]

تظهر حالة الاشتياق لدى الشاعر؛ التي استدعتها رؤية النساء، وهن في هوادجهن جماعات وقد عمق هذا الإحساس صرير الهوادج، «ثم تأتي لحظة تحرك القافلة، واندفاعها في السير تلك اللحظة الرهيبة؛ التي تبلغ عندها مشاعر اللهفة أقصاها حتى ليكاد يحس المحب أن جلده ينتزع منه حين يرى ركب حبيبته وهو واقف مسلوب الإرادة».[4]

إن الرغبة في بقاء الظاعنات واستعادة الحياة في المكان ونفس الشاعر جعلته يترقب الهوادج منتظرا رجوعها يقول:[5]

زُجُلاً كأَنَّ نِعَاجَ تُوضِحَ فَوْقَها وَظِبَاءَ وَجْرَةَ عُطَّفاً أَرْآمُها[6]

حُفِزَتْ وَزَايَلَها السَّرَابُ كأَنها أَجْرَاعُ بِيشَةَ أَثْلُها وَرِضَامُها[7]

فالنساء اعتلين الهوادج جماعات كأنهن نعاج توضح في حسن عيونهن، أو ظباء وجرة في عطفهن على أبنائهن.

---

[1]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص166.

[2]– الظعن: البعير الذي عليه هودج وفيه امرأة، التكنس: دخول الكناس، القطن: الجماعة، الصرير: صوت الباب والرحل.

[3]– حف الهودج: إذا غطي، العصي: عيدان الهودج، الزوج: النمط من الثياب، الكلة: الستر الرقيق، القرام: الستر.

[4]– محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القيم والحديث، ص150.

[5]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص166.

[6]– الزجل: الجماعات، النعاج: إناث بقر الوحش،وجرة: موضع بعينه، العطف: الترحم، الأرام: الظباء الخالصة البياض.

[7]– الحفز:الدفع، الأجزاع: منعطف الوادي، بيشة: وادي بعينه،الأثل: شجر يشبه الطرفاء لكنه أعظم منها، الرضام: الحجارة العظام.

ويتابع الشاعر تقدم الهوادج في منعطفات الوادي وهي تبتعد مختفية بين حجارة الوادي الضخمة ويظهر« أن هذه المتابعة تبدو كأنها سعي للتواصل، وإصرار على التمسك بهؤلاء النساء».[1]

ويصدم الشاعر حين يتذكر أن حبيبته ابتعدت، ورحلت فيقول:[2]

بَلْ مَا تَذَكّرُ منْ نَوَارَ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهـــا وَرِمَامُهـــا[3]

مُرِّيَّـةُ حَلّتْ بِفَيْدَ وَجَـــاوَرَتْ أَهْلَ الْحِجَازِ فأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهـــا[4]

بِمشَارِقِ الْجَبَلَيْنِ أَوْ بِمُحَجَّـر فَتَضَمَّنَتْهـا فَـرْدَةٌ فَـرُخَامُهَـــا[5]

فَصُوَائِـقٌ إِنْ أَيْمَنَت فِمظَنَّـــةٌ فبهـا وَحَـافُ الْقَهْرِ أَوْ طِلْخَامُها[6]

غادرت حبيبة الشاعر، لكن الأمل في رجوعها مستمر،ولبيد لا يريد قطعها بهذه السرعة بل يفترض أماكن يمكن أن تكون حلت بها كمرة، وفيد، ومحجر، وفردة، والرخام وصوائق واليمن، وحاف القهر، والطلخام،« وتبدو المرأة محور هذه المواقع، وتلك المحاولات تظهرنوار موضوع الطلب، والغياب، موضوع الرغبة والحرمان». [7]

وليس من الغريب أن يضع لبيد احتمالات لأماكن، ومنازل حلول نوار، فالشعراء عامة « بتحديدهم هذا ضمنوا لتلك المنازل خلودا عبر التاريخ، وبقاء رغم عوامل الطبيعة».[8]

---

[1]– سامي سويدان، في النص الشعري العربي، مقارنات منهجية، ط1، دار الأدب، بيروت،1979م، ص121.

[2]– لبيد بن ربيعة، الديوان ، ص166.

[3]– نوار :اسم امرأة يشيب بها، النأي:البعد، الرمام : قطعة من الحبل.

[4]– مرية: خلقة صغيرة منسوبة إلى مرة، فيد: بلدة معروفة.

[5]– الجبلين:أجأ، وسلمى، المحجر: جبل آخر، رخام: أرض متصلة بفردة.

[6]– أيمنت:أنشى اليمن، مظنة الشيء: بظن كونه فيه، صوائق: موضع معروف

[7]– سامي سويدان، في النص الشعري العربي، ص224.

[8]– فوزية زوباري، الغزل عند الشعراء السود(ماجستير)، الجامعة اليسوعية، إشراف :اسعد علي، دت،ص105.

فالشاعر لا يكتفي بمعرفة مكان حبيبته بل يسعى إلى تخليده عن طريق الشعر، وهو يتحدى بذلك عوامل الفناء، ليعلن انتصار الحياة واستمرارها.

وبهذا تعتبر رغبة الوصل لدى الشاعر مظهرا من مظاهر الحياة في المعلقة، وذلك لارتباطها بالمرأة النائية ومحاولة استبقائها.

إن صورة المرأة في المعلقة لها ارتباط وثيق بمعاني الخصب، والحيوية، وتوليد الحياة ولهذا تتجلى محاولات الشاعر في استبقائها، رغبة منه في استمرار الحياة.

كما وظف الشاعر الوشم الذي تتزين به المرأة رمزا لتجدد الحياة، ومواجهة الفناء وبهذا كان لحضور المرأة وصفاتها أثر كبير لمظهر الخصب الذي تُحيل عليه المرأة والمكانة التي تشغلها، إذ تمثل استمرار الحياة بالنسبة للشاعر.

وبهذا كان لحضور المرأة دوره المميز في تجسيد الخصوبة وتمظهر الحياة والاستمرار.

ثانيا: مظاهر الحياة في مقطع الرحلة

كانت الرحلة في الصحراء سبيل العرب لاستمرار حياتهم، واحتاجوا فيها إلى رفيق يسليهم ويساعدهم في قطع تلك المسافات البعيدة، وكانت الإبل خير رفيق، فاهتموا بها وأشاد بذكرها الشعراء في شعرهم.

وقد حاول لبيد أن يصف ناقته، ويشبهها بحيوانات أخرى، ليصور من خلال قصصها جدلية الحياة، والموت.

1- مظاهر الحياة في وصف الناقة:

حاول لبيد أن يبث في ناقته طاقة من الحيوية والقدرة على أعباء السفر، وبث فيها مظاهر تحدي الموت، والحفاظ على الحياة.

أ- الناقة القوية:

لما ضاق الشاعر من الوقوف على طلل لا يجيب، ومن ود امرأة لا تقدر الوصل اتجه إلى ناقته التي لا يشعر بالحياة إلا عن طريق حركتها، وسرعتها، يقول:[1]

بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً مِنْها فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنامُهَا[2]

وَإِذَا تَغَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الكَلالِ خِدَامُهَا[3]

قرر لبيد أن يقابل قطيعة حبيبته بركوب ناقته التي أعيتها الأسفار،فهي وسيلته لتجاوز المأساة، والمضي في حياته، فإذا ارتفع لحمها إلى رؤوس عظامها زادت سرعتها، يقول:[4]

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص168.

[2]- الطلح، والطليح: المعين، الأسفار: ج سفر، الأحناق: الضمر.

[3]- تغالى لحمها: ارتفع إلى رؤوس العظام، الخدام: سيور تشد بها النعال إلى أرساغ الإبل.

[4]- المصدر نفسه، ص168.

فَلَهَا هِبَابٌ في الزِّمَامِ كأَنَّها صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جِهَامُهَا[1]

فأصبحت كسحابة حمراء أفرغت ماءها واستسلمت لريح الجنوب حيث يكمن وجه الشبه في الخفة، والسرعة، والنشاط.

فبعد أن تعب الشاعر من الوقوف عند الديار الخربة، أحس أن ركوب الناقة، يعيد إليه الأمل في الحياة« وهو لم يطل في وصف السحاب الخفيف لأنه لا يستطيع أن يسايره ولا أن يجري معه في الجو تحت تأثير الريح اليسيرة أو العاصفة».[2]

إن السحابة أيضا تحمل ماء، أي تحمل حياة وتبثها في الكون، إنها الحياة التي تحملها الناقة للشاعر، والأمل الذي يدفعه إلى الاستمرار والانتصار على الموت الماثل أمامه.

فعندما لا يجد الشاعر في الوقوف فائدة، ولا في البكاء جدوى، يمتطي ناقته ويرحل بعيدا عن الطلل، ليعيش حاضره، ويكافح أعداءه، من طبيعة، أو إنسان أو حيوان من أجل الحفاظ على حياته، واستمراره.

وبهذا تخلصت السحابة من مائها لتصبح سريعة يدفعها الريح بسهولة،وتخلصت الناقة من شحمها لتزداد سرعة وخفة.

---

[1]– الهباب: النشاط، الصهباء: الحمراء، خف: أسرع ، الجهام: السحاب الذي أراق ماءه.

[2]– طه حسين، حديث الأربعاء،ط14، دار المعارف، القاهرة، د ت، ج1، ص35.

2- مظاهر الحياة في وصف الحيوان:

شبه لبيد الناقة بالأتان الحامل وفحلها وبالبقرة المسبوعة مؤكدا على الرغبة في الاستمرار، ومواصلة الحياة.

أ- صورة الأتان الحامل:

يشبه الشاعر ناقته بالأتان الحامل من فحل أحقب شديد الغيرة عليها، يقول:[1]

أَوْ مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لأَحْقَبَ لاَحهُ طَرْدُ الْفُحُولِ وَضَرْبُهَا وَكِدامُهَا[2]

يَعْلُو بِهَا حَدَبَ الإِكَامِ مُسَتْحَجٌ قَدْ رَابَــهُ عِصْيَانُهَـا وَوِحامُهَا[3]

بِأَجِــزَّةِ الثَّلَبُــوتِ يَرْبَــأُ فَوْقَهَـا قَفْرَ الْمَراقِبِ خَوْفُهَا آرَامُهَا[4]

وتبرز غيرة هذا الفحل من خلال طرده بقية الفحول وعضه إياها وقد أهزله ذلك وأتعبه لكن الأتان تقابله بالعصيان، وقد تزامن هذا العصيان مع وحامها وارتبط بفترة حملها،« والعصيان يصبح تجسيدا للرغبة في خلق الحياة»[5]، وإصرارا من الأتان على أن تحمي صغيرها الذي يمثل استمرار الحياة، « ثم إننا أمام قصة حية بين أتان، وفحلها يمثلان قصة الصراع من أجل بقاء النوع»[6]، هذا البقاء المرتبط بسلامة الأتان ومن أجل هذا يبعدها إلى مكان مرتفع خشية الصيادين ويبقى متيقظا حريصا.

وقد طال بهما المقام هناك فاحتاجا إلى الماء يقول لبيد:[7]

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص ص168،169.

[2]- ألمعت الأتان: أشرق طبياها باللبن، وسقت: حملت، أحقب : العير الذي في وركيه بياض أوفي خاصرتيه، لاحه: غيره الكدام: العض.

[3]- الاكام: حدبها ،السجح: القشر العنيف، الوحم : اشتهاء الحب للشيء.

[4]- الأحزة:ج حزيز وهو مثل القف، الثلبوت: موضع بعينه، القفر: الخالي، المراقب:الأماكن المرتفعة، الآرام:أعلام الطريق.

[5]- كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، ص72.

[6]- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث،ص165.

[7]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص169.

حَتَّى إِذَا سَلَخَا جُمَادَى سِتَّةً جَزَآ فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا[1]

وقد اكتفيا في هذه الإقامة التي استمرت ستة أشهر بأكل الرطب دون الماء، فأصبح النزول من مكانهما أمرا محتما، حيث يقول لبيد:[2]

رَجَعَا بِأَمْرِهِمَا إِلَى ذِي مِرَّةٍ حَصِدٍ وَنُجْعُ صَرِيَمةٍ إِبْرَامُهَا[3]

وَرَمَى دَوابِرَهَا السَّفَا وَتَهَيَّجَتْ رِيحُ الَمصَايِفِ سَوْمُهَا وَسِهامُهَا[4]

فكان على الأتان أن « تتقبل صواب رأي الفحل في محاولة للنجاة باتجاه الحياة وتقبلها يأتي فيفي سياق الموت المهدد »[5].

وما أزم الوضع ودعم الحس بالنهاية هو تحرك ريح الصيف وشدة حرها، فازدادت الحاجة إلى ورود الماء، فانطلقا في سرعة شديدة،« وتقاوم إرادتهم الحية كل ما يعترض طريقهما من صعاب وعقاب ثم يظفران في النهاية بالحياة، بعد أن ينتصر على كل ما تتحداهما به الطبيعة»[6]، فيصيب الشوك حوافر الأتان وتواصل الجري رغبة منها في التغلب على الموت المهدد المتمثل في انعدام الماء.

ورغم الصعوبات التي شكلتها الطبيعية فإن الأتان وفحلها واصلا عدوهما نحو الماء يقول لبيد:[7]

---

[1]– سلخا: مر عليها، جمادى: اسم الشتاء، جزأ: اكتفى بالرطب عن الماء، الصيام: الإمساك.

[2]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص169.

[3]– رجعا: أسندا، المرة: القوة، الحصد: المحكم، النجح: حصول المراد، الصريمة: العزيمة ،الإبرام: الإحكام.

[4]– الدوابر: مآخير الحوافر، السفا: شوك البهمي، تهيجت: تحركت، المصايف: الصيف، السوم: المرور، السهام: شدة الحر.

[5]– كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، ص72.

[6]– محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص165.

[7]– المصدر السابق ،ص170.

فَتَنَازَعَا سَبِطاً يَطِيرُ ظِلالُهُ كَدُخَانِ مُشْعَلَةً يُشَبُّ ضِرامُهَا[1]

مَشْمُولَةٍ غُلِثَتْ بِنَابِتِ عَرْفَجٍ كَدُخَانِ نارٍ ساطِعٍ أَسْنَامُهَا[2]

فَمضَى وَقَدَّمَهَا وكانَتْ عادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَّدَتْ إِقْدَامُهَا[3]

فالغبار الناتج عن سرعتهما يخيل أنه ثوب يتجاذبانه، وهو في كثافته كالنار الموقدة.

إن استدعاء النار في هذا المشهد ليس عبثا، ولا لمجرد التشبيه بقدر ما هي رمز للحياة في قوله:(نار ساطع أسنامها)، و« تأتي صورة النار الملتهبة بكل ما في النار من رمزية وواقع الشظى، والحر، وقسوة ركض ورمز للاستهداء النهائي إلى منابع الخير».[4]

إن هذا الاستهداء أرشدهما إلى الخصب والماء يقول لبيد:[5]

فَتَوَسَّطا عُرْضَ الْسّرِيِّ وَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلاُمها[6]

مَكْفُوفَـــةً وَسْطَ الْيَرَاعِ يُظِلّهَا مِنْهُ مُصَرَّعُ غابَةٍ وَقِيَامُها[7]

وصلا إلى عين علا فيها النبات فدخلا فيها وارتوى عطشهما.

يجسد الشاعر من خلال هذه القصة صراع الحياة والموت، ويعمق هذا الجدل؛ حيث يخلق أحيانا الحياة من رحم الموت، وأحيانا أخرى يبث الموت في الحياة.

تبدو رحلة بحث الأتان عن الماء بعد أن حل الجفاف أشبه ما تكون برحلة الشاعر بحثا عن الحياة كما تظهر الأتان وفحلها في عدوهما نحو الماء بسرعة تشابه سرعة ناقة لبيد.

---

[1]– التنازع: التجادب، السبط: الممتد الطويل، الضرام: دقاق الحطب.

[2]– مشمولة: هبت عليها ريح الشمال، الغلث: الخلط، النابت: الغض،ن العرفج: ضرب من الشجر.

[3]– التعريد: التأخر، والجبن.

[4]– كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، ص73.

[5]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص170.

[6]– العرض: الناحية، السري: النهر الصغير، التصديع: التشقيق ، السجر: الملأ، القلام: نوع من النبت.

[7]– اليراع: القصب، الغابة :الأجمة، المصرع: مبالغة المصروع.

إن بلوغ الماء في هذه القصة التي يحكيها الشاعر يمثل انتصارا للحياة على الموت المهدد والمترصد، وإصرارا على البقاء.

ب- صورة البقرة الوحشية:

بعد أن شبه الشاعر ناقته بالأتان وفحلها أحس أن هذا التشبيه لا يكفي للتعبير عن مواقفه ورؤاه فتحول إلى قصة البقرة المسبوعة التي تجسد صراع البقاء ومحاولة الاستمرار.

ب1- السعي لتحصيل الغذاء:

يؤكد الشاعر في بداية حديثه عن البقرة أنها الصورة البديلة عن ناقته فيقول:[1]

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ الصِّوَارِ قِوامُهَا[2]

خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ عُرْضَ الْشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا[3]

لِمعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعُ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبُ لا يُمَنَّ طَعَامُها[4]

صَادَفْنَ منهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا إِنَّ الَمنايَا لا تَطِيشُ سِهَامُها[5]

يقدم الشاعر لوحة عن البقرة وصغيرها، ورغبة منها في تحصيل الغذاء له تسعى أن تكون في المقدمة وتحرص أن تقضي حاجتها بسرعة.

إن الغذاء الذي تسعى البقرة في تحصيله يمثل استمرار الحياة لصغيرها وبمحاولتها لتحقيق ذلك ترمي به في أحضان الموت فعلى حين غفلة منها أكله السبع وهنا تكمن المفارقة؛ ففي المرعى الذي يضمن الحياة التي تصر البقرة على استمرارها بالرعي في

---

[1]- لبيد بن ربيعة ، الديوان، ص171.

[2]- مسبوعة: أصابها السبع بافتراس ولدها، الهادية: المتقدمة، الصوار: القطيع من بقر الوحش، قوام الشيئ: ما يقوم به هو.

[3]- الخنس تأخر في الأرنبة، الفرير: ولد البقرة الوحشية، الريم:البراح، العرض: الناحية، الشقائق:أرض صلبة بين رملتين البغام: صوت رقيق.

[4]- القهد: التنازع، الشلو: العضو، الغبس: لون كلون الرماد، المن: القطع.

[5]- الغرة: الغفلة، الطيش: الانحراف، والعدول.

المقدمة، في هذا المكان الخصب، وفي قلب الحياة كان الموت يترصد صغيرها وتتجسد الرغبة في حياة هذا الصغير في صياح البقرة المتواصل والطواف فكأنها تجعل منه وسيلة لاستعادته.

إن صورة البقرة وهي تسعى لتحصيل الغذاء هي تصوير لمعركة الإنسان مع الدهر في سعيه لضمان حياته، بتوفير سبل العيش، لتأتي المنايا التي لا تطيش سهامها فتأخذه على حين غفلة.

وبهذا يجسد السعي لتحصيل الغذاء صورة للرغبة في الحياة ومحاولة الانتصار على الفناء.

ب2- الدفاع عن النفس:

بعد سبع ليال من الجزع والحزن والصياح المستمر أدركت البقرة أن ابنها لن يعود إليها وفي هذا الجو الكئيب تسمع البقرة صوت الإنسان يقول لبيد:[1]

وَتَوَّجستْ رِزَّ الأَنِيسِ فَراعَها عنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالأَنِيسُ سقامُها[2]

فَغَدَتْ كِلا الْفَرْجَيْنِ تَحْسبُ أَنَّهُ مُوْلَى الَمخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُها[3]

لقد استشعرت البقرة الخوف، والخطر، وأدركت أنها في مواجهة الموت؛ إنه الإنسان صائدها ومهلكها، لكنها لا تدري من أي جهة سيظهر لها، أو أين موقعه فقد سمعت الصوت ولم تميز مصدره، لا تعرف إذا كان خلفها أم أمامها وقد يئس الرماة من إصابتها فأرسلوا إليها كلابهم، يقول لبيد:[4]

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان،ص173.

[2]- الرز: الصوت الخفي، راعها: أفزعها.

[3]- الفرج: موضع المخافة.

[4]- المصدر نفسه،ص174.

حتى إذا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا غُضْفاً دَوَاجِنَ قافِلاً أَعْصامُها[1]

فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لها مَدْرِيَّةٌ كالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمامُها[2]

لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إِنْ لم تُذُدْ أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الحُتُوفِ حِمامُها[3]

تجد البقرة نفسها أمام نوع آخر من الأعداء فكثيرا ما كانت لها معه معارك ضارية صورها الشعراء في قصائدهم.

إن صورة الكلاب وهي تتقدم نحو البقرة لم تترك أمامها إلا خيارا واحدا وهو أن تحمي نفسها بالقضاء عليهم،« إن غريزة الدفاع عن النفس والحرص على الحياة تغلب غريزة الأمومة والحزن على الطفل البريء».[4]

في هذه المعركة تسعى البقرة جاهدة أن تحفظ بقاءها، فتقتل الكلاب حيث يقول لبيد:[5]

فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ فَضُرِّجَتْ بِدَمٍ وَغُودِرَ في الَمكَرِّ سُخَامُها[6]

إن رد فعل البقرة كان قويا، وسريعا فقد دافعت عن نفسها بقتل الكلبين(سخام، كساب) إنه رد نابع من قوة إرادة البقاء؛ فإذا كان الهروب حرصا حيويا على البقاء أمام سهام الإنسان فإن الدفاع عن النفس أمام الكلاب تأكيد لهذا الحرص.

إن وصف البقرة في معركتها ضد الكلاب وهي تواجهها تصوير لصراع الحياة ضد الموت، وتعميق لمعناه، وانتصار البقرة ونجاتها، رمز لتواصل الحياة، وتجسيد لرغبة الشاعر في هذه النهاية المكللة بالانتصار.

---

[1]– الغضف من الكلاب: المسترخية الآذان، الدواجن: المعلمات، القفول: اليبس، أعصامها: بطونها

[2]– عكر: عطف، المدرية: طرف قرنها، السمهرية من الرماح: اسم رجل نسبت إليه الرماح الجيدة.

[3]– الذوذ: الكف والرد، الإحمام: القرب، الحتوف: قضاء الموت، الحمام: تقدير الموت.

[4]– طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، ص26.

[5]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص173.

[6]– أقصد وتقصد: قتل، كساب:اسم كلبة وكذلك سخام.

وبهذا المشهد تنتهي الصورة التي اتخذتها الناقة، ويختم الرحلة بقوله:[1]

فَبِتِلْكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامعُ بالضُّحى وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرابِ إِكامُهَا

أَقْضِي اللُّبَانَةَ لا أُفَرِّطُ رِيبَةً أَوْ أَنْ يَلُومَ بحاجَةٍ لَوَّامُها[2]

يؤكد الشاعر مرة أخرى أن البقرة والأتان هما الصورة البديلة لناقته التي يقضي عليها حوائجه ولا يفرط في غاياته غير مهتم بمن يلومه.

إن تشبيهه لناقته بحيوانات الصحراء يمثل رغبة منه في أن تكون مستعدة لمواجهة مصيرها الغامض؛ مصير الإنسان في هذه البيئة التي لا ترحم والتي تستدعي التسلح بعناصر القوة، إنها تعبير عن ذات الشاعر وما يشهده من صراع في حياته مع الطبيعة ومع بني جنسه محاولا أن يتحدى هذه القوى وينتصر عليها مجسدا ذلك في انتصار البقرة على الكلاب.

ب3- صورة المطر:

تحزن البقرة لفقدان صغيرها، وتعلوا صيحاتها المكان أمام أشلاء تركتها السباع ووسط الجو الحزين، لينبثق نور الحياة، فتمطر السماء مطرا منبتا يقول لبيد:[3]

بَانَتْ وَأَسْبَلَ وَاكِفٌ من دِيَمةٍ يُرْوِي الْخَمائِلَ دائِماً تَسْجَامُها[4]

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُها[5]

يقول الزوزني: « بانت البقرة بعد فقدها لولدها، وقد أسبل مطر واكف من مطر دائم يروي الرمال الميتة والأرضين التي بها أشجار في حال دوام سكبها الماء»[6]، فالمطر

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان ص174.

[2]- اللبانة: الحاجة، التفريط: التضييع، الريبة: التهمة.

[3]- المصدر نفسه،،ص172.

[4]- وكف: قطر، الديمة: مطرة تدوم أقلها نصف يوم وليلة، الخمائل: كل رملة ذات نبت، التسجام: الانصاب.

[5]- طريقة المتن: خط من ذنبها إلى عنقها، الكفر: التغطية والستر

[6]- الزوزني، شرح المعلقات السبع الطوال، ص174

الهاطل لم يكن مطرا مدمرا بقدر ما كان منبتا للأرض، ناشرا الحياة في الرمال الميتةمجسدا معنى الخصب« ليتأكد المطر رمزا له في هذه الطبيعة في أنه لا يقدم في قوة مدمرة»[1] إنه قوة إحياء وبعث.

وسط الحزن والأسى الذي تعيشه البقرة بموت صغيرها، وأمام كل معاني الفناء، وسطوة القدر تجود السماء بمائها، وتجسد الطبيعة بعواملها التناقض بين الحياة التي يبثها المطر والموت الذي يخيم على المكان.

ينجلي هذا الحزن مع قطرات المطر؛ التي أرادت بث الحياة في الأرض، والإعلان عن بداية جديدة تتضح معالمها مع بزوغ الفجر، ومع ميلاد يوم جديد يقول لبيد:[2]

حَتَّى إِذَا انْحَسَرَ الْظلامُ وَأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ الثَّرَى أَزْلاُمها[3]

ينكشف ظلام الليل بما حمله من أحزان فتنزل البقرة من مأواها، وتحرك قوائمها على التراب الندي لكثرة المطر الذي أصابه مستقبلة البداية الجديدة، مدركة أن صغيرها الذي أصرت في طلبه لن يعود.

تبرز صورة المطر في هدا المقطع أداة للإخصاب، والبعث من جديد، ومحاولة من الشاعر للانتصار على القدر وويلاته فينقل مرارة الإحساس بالموت كواقع وحقيقة واستمرار الحياة و تجددها.

---

[1]– كمال أبوديب، الرؤى المقنعة،ص77.

[2]– لبيد بن ربيعة، الديوان ،ص172.

[3]– الإنحسار: الانكشاف والانجلاء، الأسفار: الإضاءة.

ثالثا- مظاهر الحياة في المقطع الأخير من المعلقة :

تحدث لبيد في هذا المقطع من المعلقة عن نفسه؛ فصور لهوه ولياليه ،وجسد شجاعته وكرمه، كما فخر بعشيرته وما لها من فضائل وخصال، فكان هذا المقطع صورة واضحة المعالم للحياة في الجاهلية .

1- صورة الخمر :

إن الخوف من الفناء جعل الجاهلي يعيش حياته لحظة بلحظة،متمسكا بالبقاء باحثا عن وسائل لنسيان الموت الذي يترصده ولتجاوزه والاستمتاع بحياته ، فكان شرب الخمر من بين هذه الوسائل، ولبيد من بين الشعراء الذين احتسوا كؤوس الخمر ،وتغنوا بلذاتها ؛ حيث صور في المعلقة لياليه اللاهية،وسمره مع ندمائه حيث يقول:[1]

بلْ أَنْتِ لا تَدْرِينُ كَمْ مِن لَيْلَةٍ طَلْقٍ لَذِيذٍ لَهْوُهَا وَنِدَامُهَا[2]

قَدْ بِتُّ سامِرَها وَغَايَةَ تاجِرٍ وَافَيْتُ إِذْ رُفِعَتْ وعَزَّ مُدَامُها[3]

أُغْلِي السِّباءَ بِكُلِّ أَدْكَنَ عاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتامُها[4]

بِصَبُوحِ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ بِمُوَتِرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامُها[5]

بادَرْتُ حاجَتَها الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ لِا عَلِّ مِنهَا حينَ هَب نِيامُها

يبين الشاعر لحبيبته كثرة الليالي التي تلذذ فيها باللهو، واقتنى الخمور الغالية لأصحابه.

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان ،ص ص175،176.

[2]- ليلة طلق: ليلة لا حر فيها ولا قر.

[3]- الغاية: راية ينصبها الخمار ليعرف لا مكانه، وافيت :أتيت، المدام : الخمر.

[4]- سبأت الخمر: اشتريتها، أغليت الشيء:اشترته غاليا، الأدكن: الذي فيه دكنة كالخز الأدكن، الجونة: السوداء القدح: الغرف، الفض: الكبير

[5]- الكرينة: الجارية العوادة، الائتيال : المعالجة.

إن هذه الخمرة الغالية الثمن« تصوير عما يبدله الشاعر لأصدقائه من كرم الضيافة إنما هو الكرم الممزوج بالشهامة، والبطولة والتضحية بكل غال ورخيص».[1]

ومما يضفي حياة ومرحا ولهوا على تلك الليلة حضور الجواري، وهو يواصل شربه مع ندمائه حتى بزوغ الفجر، في هذه الأوقات « كانت سيولة زمنية تفيض بالحياتية والإحساس بالسعادة ضمن رؤية وجودية شاملة توشح مجريات حياة الشاعر وتسم الواقع البيئي العام بملامح الإخصاب والتفاؤل».[2]

إن استغراق الشاعر في شرب الخمر هو رغبة لتجاوز أزمة الحياة، ومحاولة لدفع الموت لهذا كان شغله الشاغل أن يعيش أكبر لحظات من المتعة، خوفا من تعاقب الأيام الذي يؤدي إلى هلاك الأنفس.

2- الدفاع عن القبيلة:

إن حياة الصحراء القاسية التي عاشها العربي تطلبت منه أن يكون قويا في مجابهة الأعداء والدفاع عن قبيلته التي « تغلي من مكانة الفرد القوي وتعتز بالمقاتل الشجاع وتباهي بالفارس البطل، وتعد البأس أهم وسيلة تحميا وتحصنها، وتجعلها قوية منيعة قادرة على البقاء والعيش»[3]،ولأهمية الشجاعة والدفاع عن القبيلة نجد لبيد يفخر بنفسه فيقول:[4]

وَلَقَدْ حَمَيْتُ الحَيَّ تحْمِلُ شِكَّتي فُرْطٌ وِشاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجامُها[5]

فَعَلَوْتُ مُرْتَقَباً على ذِي هَبْوَةٍ حَرْجٍ إِلَى أَعْلاَمِهِنَّ قَتامُها[6]

---

[1]- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القيم والحديث،ص135.

[2] - باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي،ص118.

[3]- عبد الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي،ط1، مركز زيادة للتراث والتاريخ،1421هـ-2001م،ص 204.

[4]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص176.

[5]- الشكة: السلاح، الفرط: الفرس المتقدمة السريعة الخفيفة،

[6]- المرتقب : المكان المرتفع الذي يقوم عليه الرقيب، الهبوة: الغبرة، الحرج: الضيق جدا، الأعلام ، الجبال والرايات القتام: الغبار

لقد حمى قبيلته على فرس متقدمة سريعة ممسكا بلجامها، فهو لا يخرج عن العرف القبلي فقد« كان الدفاع عن القبيلة فضيلة من أغلى فضائل هذا الشعب، وشرفا يسموا إلى الحقيقة».[1]

إن الحديث عن حماية القبيلة هو ذكر للشجاعة، وقوة الانتماء المتأصل في نفسية الشاعر الذي يدفعه إلى صونها- القبيلة- مستعينا في ذلك على رفيق دربه في المعارك إنه فرسه وسيلته للتغلب على أعدائه وحماية أهله لهذا نجده يستجمع ما أمكنه من عناصر السرعة ليصف الفرس بها فيقول:[2]

أَسْهَلْتُ وَانْتَصَبَت كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ جَرْداءَ يَحْصَرُ دُونَها جُرَّامُها[3]

رَفَّعْتُها طَرْدَ النّعامِ وَشَلَهُ حتّى إِذا سَخِنَتْ وَخَفّ عِظامُها

قَلِقَتْ رِحَالَتُها وَأَسْبَلَ نَحْرُها وَابْتَلَّ مِن زَبَدِ الحَمِيمِ حزَامُها[4]

تَرْقَى وَتَطْعَنُ في الْعِنانِ وَتَنْتَحِي وِرْدَ الْحَمامَةِ إِذْ أَجَدَّ حمامُها[5]

فالفرس تحمل من صفات السرعة والقوة ما يمكنها من تحقيق الانتصار؛ إذ شابهت سرعتها سرعة النعام وأمطر نحرها عرقا، وابتل حزامها، إنها سريعة كالحمامة العطشى حين ترى الماء إذ تسخر كل طاقاتها للحصول عليه في أسرع وقت ممكن.

وتبدو مقومات القوة والسرعة التي منحها إياها الشاعر تجسيدا لموقف الإنسان الإيجابي في مواجهة الواقع وإرادته في الانتصار على الموت.

---

[1]- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القيم والحديث،ص180.

[2]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص ص176،177.

[3]- أسهل: أتى السهل من الأرض، المنيفة: العالية، الجرداء: قليلة السعف، الحصر: ضيق الصدر، الجرام: الذي تجرم النخل.

[4]- القلق: سرعة الحركة، الرحالة: شبه سرج يتخذ من جلود الغنم بأصوافها ليكون أخف، أسبل: أمطر، الحميم: العرق.

[5]- ترقى: تصعد وتعلوا، الانتحاء: الاعتماد، الحمام: ذوات الأطواق من الطير.

ويمكن القول إن جوهر الدفاع يكمن في كونه استبقاء للحياة أكثر منه رغبة في تحدي المخاطر والأهوال والوسيلة التي استعملها الشاعر في الحفاظ على الحياة واستمرارها هي الفرس.

3- صورة الكرم:

اشتهر الجاهلي بإكرام الضيف وعابري السبيل؛ إذ إنه كان يعيش في صحراء مقفرة فرضت عليه التنقل من مكان إلى آخر فكان الكرم ضروريا وذلك من أجل أن يضمن العربي لاسمه الخلود مرافقا لخصلة الكرم فأنفق ماله، وذبح نوقه رغبة في هذا المجد.

ومعلقة لبيد بن ربيعة تحفل بمظاهر الكرم؛ إذ وصفه في صورتين تعلقت الأولى بكرمه والثانية بكرم عشيرته، ومن كرمه أنه لا يتوانى في اقتناء الخمور غالية الثمن تقديرا لأصحابه وندمائه:[1]

قَدْ بِتُّ سامِرَها وَغَايَةَ تاجرٍ وَافَيْتُ إِذْ رُفِعَتْ وعَزَّ مُدَامُها

أُغْلي السِّباءَ بكُلِّ أَدْكَنَ عاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتامُها

ويظهر تقدير لبيد لمكانة أخلائه فيكرمهم بأحسن الخمور وأغلاها وأكثرها ندرة، وقد كان الكرم صفة مصاحبة للبيد؛ إذ اعتاد أن ينفق كلما هبت ريح الصبا[2]، يقول:[3]

وغَدَاةَ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وقرة **قد أَصْبَحَتْ بيَدِ الشَّمالِ زِمامُها**[4]

فالشاعر لا يبخل أثناء البرد وكون الناس في أمس الحاجة إلى الطعام؛ وذلك إن « أقصى ما يكون الكرم أن يجود الكريم في الليلة الشاتية شديدة البرد، لهذا يعد ربيع الناس

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص175.

[2]- ينظر، الأصفهاني، الأغاني، ص94.

[3]- المصدر نفسه، ص176.

[4]- القرة :البرد، الشمال:هي أبرد الرياح.

لأنه يمنع عنهم ما يكون في الشتاء من جوع»[1]، وذلك بذبح الجزر لهم يقول لبيد:[2]

وَجزُورِ أَيْسارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِها بِمَغَالِقٍ مُتَشابِهٍ أَجْسامُها[3]

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ بُذِلَت لجيرانِ الَجميعِ لحامُها[4]

فَالضَّيْفَ وَالجارُ الَجنِيبُ كَأَنَّما هَبَطَا تَبالَةَ مُخْصِباً أَهْضامُها[5]

تأوِي إِلى الأَطْنابِ كلُّ رِذِيَّةٍ مِثْلِ الْبَلِيَّةِ قالِصٍ أَهْدامُها[6]

وقد بلغ الكرم بالشاعر أن يذبح ناقته في سبيل ضيوفه، و« ذكر العاقر لأنها أسمن و ذكر المطفل لأنها أنفس»[7]، فلبيد لا يبخل على جيرانه ويجود عليهم من ماله الخاص لا من مال القمار ، ويتعالى بكرمه؛ إذ إن الضيوف إذا نزلوا عنده فكأنما نزلوا بواد خصب في حال كثرة نباته.

ويجعل الشاعر من نفسه مصدرا للخصب، ومأوى للمساكين، الذين اهتم العرب بالجود عليهم؛ إذ إنهم بذلك« يخلصونهم من براثن الموت فكأنهم يردون إليهم الحياة من جديد»[8].

و يحاول لبيد أن يصف كرمه، وجوده بالكيفية التي تجعله مقصد المساكين لكثرة عطائه و يضع نفسه في صورة الواهب للحياة، والمساعد على استمرارها لهذه الفئة.

---

[1]– علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخرالقرن الثاني هجري،ط3، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1983م ص187.

[2]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص178.

[3]– الأيسار: صاحب الميسر، المغالق: سهام الميسر.

[4]– العاقر: التي لا تلد، المطفل: التي معها ولد،ن اللحام: اللحم.

[5]– تبالة: واد مخصب من أودية اليمن، الهضيم: المطمئن من الأرض.

[6]– الأطناب: جبال، الرذية: الناقة التي تخلف لفرط هزالها، الأهدام: الأخلاق ، قلوصها: قصرها.

[7]– الزوزني، شرح المعلقات السبع الطوال، ص182.

[8]– عبد الغني أحمد زيتوني، الانسان في الشعر الجاهلي، ص282.

و الشاعر ابن قبيلته يشارك في حروبها، ويفخر بانتصاراتها، ويشيد بخصالها؛ التي من بينها الكرم، فيقول:[1]

وهُمُ رَبيعٌ للْمُجاوِرِ فِيهِمُ والُمرْمِلاتِ إِذا تَطاوَلَ عامُها[2]

ويظهر جود القبيلة في كونها تهب الحياة لمن قصدها ،كما يبث الربيع الحياة في الأرض، فقوم لبيد لا يبخلون على النساء اللائي نفذت مؤنتهن لطول العام وجذبه، ويعيدون إليهن الأمل في الحياة والبقاء .

إن الكرم في المعلقة إحياء، وإعادة بث للحركة في قوم جياع من جهة،و رغبة في تخليد الاسم، وبقاء الذكر المحمود بعد الموت من جهة أخرى، كما جسد الرغبة في الانتصار على الفناء.

[1]– لبيد بن ربيعة، الديوان،ص180.

[2]– أرمل القوم: إذا نفذت أزوادهم.

الفصل الثاني

مظاهر الموت في معلقة لبيد بن ربيعة

الفصل الثاني :

مظاهر الموت في معلقة لبيد بن ربيعة

أولا : مظاهر الموت في الطلل

1- صورة الهدم و التعرية في الطلل

2- صورة الهجر

3- عجز الطلل عن الكلام

4- رحيل المرأة

5- القطيعة

ثانيا : مظاهر الموت في مقطع الرحلة

1- مظاهر الموت في وصف الناقة

أ- الناقة المستهلكة

2-مظاهر الموت في وصف الحيوان

أ- الحاجة إلى الماء

ب- صورة البقرة الوحشية

ب1- صورة القتل

ب2- العجز عن الإجابة

ب3- صورة المطاردة

ثالثا: مظاهر الموت في المقطع الأخير

1- الحرب.

مظاهر الموت في معلقة لبيد بن ربيعة :

تمهيد:

أدرك الجاهلي أن لحياته نهاية، و لعمره انقضاء وهو يشاهد الموت يتربص بكل المخلوقات غير مميز بين إنسان، أو حيوان، فكانت مفارقته للحياة أجلا لا يؤخر و نهاية لا مفر منها، وقد صور الشعراء هذا الموت واعتبروه رحلة بلا عودة، و نهاية مطلقة و عبروا في قصائدهم على مظاهر الانقطاع عن الحياة.

ومعلقة لبيد بن ربيعة في طياتها مظاهر للموت، و صورة من وحشيته، و فظاعته وهذا ما سنتطرق إليه من خلال الدراسة.

أولا : صورة الفناء في الطلل :

إن الرحيل المتواصل، و المتنقل من مكان إلى آخر بحثا عن سبل الحياة، شكل حيزا كبيرا من حياة الجاهلي، و أرهق تفكيره، فكانت صور الصراع بين الحياة و الموت أهم المظاهر التي تصادفه في تلك الصحراء القاحلة، و كان في كثير من الأحيان يشهد غلبة الموت، و انتصارها،« و لعل أهم هاجس مكاني بات يشغل الشاعر الجاهلي، و يستحوذ على مشاعره، و اهتماماته هو الطلل»[1] ، فقد عبر عن معاني الفناء، و صور الزوال و الاندثار.

1- صورة الهدم و التعرية في الطلل :

تعلقت هذه الصورة بما حل بمنازل القوم الراحلين من تغير و انمحاء، وانعدام للحياة فبعدما كانت موطنا للأنس، و مكانا لالتقاء الأحبة أصبحت رسما دارسا، وطللا باليا تتلاعب به ظروف الطبيعة.

و قد صور لبيد التغير الذي طرأ على الديار و ما آلت إليه في قوله :[2]

---

[1]- باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ص209 .

[2]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص163.

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلّهَا فَمُقَامُهَا	بِمِنـىً تَأَبَّـدَ غَوْلُهَـا فرِجَامُهَـا[1]
فَمَدافِعُ الرّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا	خَلَقاً كما ضَمِنَ الوِحيُ سِلامُهَا

انمحت الديار و زالت، ما كان للحلول فقط وما طالت فيه الإقامة، و قد حدد الشاعر موقعها فهي في " منى"، وقد سكن الوحش "رجامها" ، و "غولها" فتحولت، و ساهم الهدم في بناء حياة جديدة فيها، و قضى على الحياة الإنسانية القديمة التي كانت مليئة بالحركة لتصبح أطلالا ميتة ساكنة .

و يؤكد الشاعر أن ما ألحق الدمار بهذه الأطلال ليس مرور الزمن، و إنما كان ذلك بفعل عوامل الطبيعة، من سيول، و أمطار توالت عليها إذ عملت على تعريتها و تغييرها لكن الأطلال تبقى صامدة كبقاء الكتابة على الحجر .

فالسيول بقوتها و زحفها حاولت تدمير هذه الأطلال، التي كادت تنمحي و يزول أثرها، و قد انعدمت معها الحياة، إذ أخذت كل ما تستطيع حمله، ولم يبق إلا هذه الآثار التي تبين موقع الديار.

ولهذا كان للطبيعة دور كبير في هدم و تعرية هذه الأطلال، و قد " حرص لبيد على ذكر الرياح، و الأمطار، و السيول التي تناولت الطلل بالتدمير، و غيرت فيه كل شيء و هذا تأكيد على أن الإنسان العربي على الرغم من قوى التحدي عاجز عن صيانة وجوده الحضاري"[2].

تتعمق صورة الهدم في الطلل، وتزداد حدتها مع رحيل الحياة الإنسانية، يقول لبيد[3]:

تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدَ أنِيسِهِا دِمَنٌ	حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُها وَحَرامُها [4]

[1]– المحل من الديار: ما حل فيه لأيام معدودة، المقام:ما طالت به الإقامة، منى: موقع بحمى ضريه غير منى الحرم تأبد :توحش، الغول و الرجام: جبلان معروفان.

[2]– عصام المشهراوي« دلالات الوحدة في قصيدة الصيد الجاهلية»، مجلة جامعة الأزهر بغزة سلسلة العلوم الإنسانية العدد 2، المجلد 12، 14 جويلية 2010 م، ص121.

[3]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص164.

[4]– التجرم: التكمل و الانقطاع، العهد: اللقاء، الحجج: السنوات، الخلو: المضي .

فقد مضت شهور عديدة على رحيلهم منها، فتحولت الحياة إلى موت، و الحركة إلى سكون.

إن تركيز الشاعر على إبراز صورة الهدم، و التعرية، و انهزام الحياة الإنسانية أمام الموت المترصد، يوضح لنا عمق الإحساس بمكر الدهر و بسطوته.

إن مشهد الهدم و التعرية في الطلل إيحاء بزوال الحياة، واندثارها أمام قوى الطبيعة التي لا ترحم، إنه تصوير للصراع الذي يعيشه الإنسان ضد الفناء.

2- صورة الهجر:

كانت الصحراء منبع إلهام الشاعر، و سر إبداعه، إذ كانت تصادفه مناظر كثيرة تستدعي منه الوقوف عندها، و تحرك ملكته الشعرية.

ومن بين هذه المناظر صورة الطلل، و قد هجره أهله، و بقي خاليا تدل عليه الآثار الباقية، فيتذكر ماضي هذه الطلل عندما كان آهلا بالسكان، و الحاضر الذي آل إليه.

تغير حال هذه الديار، و غادر سكانها و مضت على ارتحالهم سنين عديدة كانت كفيلة بتغيير الحال.

لقد هجر السكان هذه الأماكن لأنها لم تعد توفر لهم شروط الحياة، فكانت المغادرة السبيل إلى الاستمرار، لكن في المقابل كان هجرهم للطلل سببا لانقطاع الحياة و توقف التجدد فيها.

إنه انقطاع فرضته الطبيعة بظروفها القاسية، و بمناخها الحار، إنه هروب من الفناء.

و صور الشاعر هذه الديار« وقد خلت من أهلها، و بعد عهدها بهم، و طال عليها الزمن واختلفت عليها الخطوب، و أحداث الجو فأصبحت و كأنها لم يسكنها الناس»[1].

[1]- طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، ص20.

لقد خلت هذه الديار واتخذتها الحيوانات مسكنا، و مرتعا لها، لأن الإنسان نأى عنها يقول لبيد[1]:

وَالْعَيْنُ ساكِنَةٌ على أَطْلائِها	**عُوَذاً تَأَجَّلُ بالفَضاءِ بِها مُها**

فقد انعدمت الحياة الإنسانية، و استبدلت بأخرى حيوانية، حيث يصور الشاعر هذه الحيوانات، آمنة، مطمئنة، و قد استقرت في هذه الأطلال.

و في هذا رغبة منه في أن لا تفنى الأرض فناءا مطلقا، فاستبقى فيها هذا النوع من و الذي يبيح للإنسان العودة إلى هذه الأماكن متى توفرت أسباب الحياة.

كما ينبه لبيد إلى أن سكان هذه الأطلال، رحلوا من المكان بكرة تاركين آثار تدل عليهم، في قوله [2]:

عَرِيَتْ وكانَ بها الَجمِيعُ فَأَبْكَرُوا	**مِنْها وَغُودِرَ نُؤْيُها وَثُمامُها[3]**

فالشاعر يقدم صورة لهذه الديار، وقد « خلت من أهلها، كما خلت من آثارهم و متاعهم و لم يبق فيها إلا هذه الرسوم »[4].

وقد ترك هؤلاء الراحلون الأشياء التي لا تفيدهم في رحلتهم، و يستطيعون الاستغناء عنها.

وبهذا فصورة الهجر في الطلل، التي صدم بها الشاعر، وحاول تجاوزها هي تصوير لانعدام الحياة، و سيطرة مظاهر الفناء الأمر الذي استدعى الرحيل.

إن هذه الصورة هي تعبير عن معاناة الشاعر، و صراعه ضد الطبيعة، التي تنتصر في هذا المشهد، وتضطر الإنسان إلى البحث عن سبل الحياة.

---

[1]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص164.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

[3]– أبكروا: ساروا بكرة، المغادرة: الترك، النؤي: نهير يحفر حول البيت لينصب إليه الماء من البيت، الثمام: ضرب من الشجر رخو يسد به خلل الباب .

[4]– طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، ص20.

3- عجز الطلل عن الكلام :

لقد شكلت رؤية ديار الأحباب وهي خالية لم يبق منها إلا آثار قليلة، صدمة كبيرة للشاعر الذي لم يجد سبيلا للاتصال بحبيبته النائية، و لمعرفة مكانها غير مسائلة هذه الأطلال قائلا [1]:

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُها، وَكيفَ سُؤالُنا	**صُمّاً خَوَالِدَ ما يَبِينُ كلامُها**[2]

إن وقوف الشاعر حائرا أمام هذه الأطلال التي كانت آهلة بسكانها، جعله يسأل حجارة صلبة لا تجيب، و جوهر هذه المسألة أنه يريد معرفة مكان السكان لكنه تفطن إلى أن هذه الحجارة لن ترد« إلا أن الداعي لهذا السؤال هو فرط الكلف و الشغف، و غاية الوله»[3] فالشاعر لم يستطع تجاوز المصيبة، و يبحث عن مبررات، و أسباب دعت إلى هذا الرحيل و يبحث عن إجابات عن المكان الذي قصدته القبيلة لكنه لم يجد أمامه سوى تلك الحجارة الصلبة التي لا تجيب.

هو تساؤل يائس يعبر عن حالة من الإحباط سببه ذلك الطلل الخالي .

إن الشاعر في مخاطبته للطلل لا يكلم أثرا دارسا، و لا بقايا دار غادر أهلها، إنه يرى في السؤال تخفيفا للآلام رحيل الأحبة و ليس رغبة في الإجابة، فهو سرعان ما يدرك أن هذه الأطلال لن تجيب، و أن سكانها قد رحلوا في قوله [4] :

عريت و كان بها الجميع فأبكروا	**منها و غودر نؤلها و ثمامها**

إنه أمام طلل رحل أهله عنه، لا يسمع و لا يجيب، « و هذا الصمم المكاني، صورة من صور ذهول المجتمع أمام الفناء، و الدمار »[5].

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 165.

[2]- الصم: الصلاب، خوالد: بواق، يبين: يظهر.

[3]- الزوزني، شرح المعلقات السبع الطوال، ص164 .

[4]- المصدرنفسه ، ص165.

[5]- زياد محمود مقدادي، المقدمة الطللية عند النقاد المحدثين، ص 40 .

فلبيد ذهل أمام تلك الآثار، و كان يتساءل عن مصير أهلها، هذا المصير الذي سيؤول إليه يوما ما، سواء أتعلق الأمر برحيل مطلق، أم رحيل يكون الزمن وسيلة لاستعادة الماضي وبعثه من جديد، و بعثه.

و بهذا كانت مساءلة الطلل نوعا من الانبهار الإنساني أمام ما تفرضه الطبيعة من زوال و رحيل للأحبة.

4- رحيـــل المرأة:

كانت حياة العربي في الجاهلية قائمة على التنقل من مكان لآخر، ما فرض عليه فراق الأحبة، و مغادرتهم، و كان لهذه المغادرة أثر كبير في نفس الشاعر، فوصف ساعة الرحيل و صفا دقيقا لا يخلو من صدق الإحساس بلوعة الفراق.

و قد و صف لبيد هذه اللحظات في معلقته، و ذلك بقوله [1] :

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حينَ تَحَمَّلوا فتَكَنَّسـوا قُطُناً تَصِرُّ خِيَامُها

مِنْ كلِّ مَحْفُـوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّـةُ زَوْجٌ عَلَيْـه كِلَـةٌ وَقِرَامُهـــا[2]

إنها لحظات الوداع و انقطاع سبل اللقاء و الشاعر يتحدث عن يوم الرحيل، و عن النسوة الحسان اللائي ارتحلن ذات يوم من هذه الديار، و قد حملنه على الحنين فوصف لحظة دخولهن الهوادج، و صوت صرير خيامهن كما صورها، و قد غطيت بثياب القطن و كانت عيدانها تحت ظلال الثياب.

إن هذا الوصف الدقيق يوحي بقوة ملاحظة الشاعر لهده الهوادج، و متابعته لها و شدة قلقه من رحيلها، إنه خوف الفراق الأبدي.

ثم ينتقل ليصف جمال النساء، و زينتهن و عطفهن على أولادهن قائلا [3]:

زُجُلاً كأَنَّ نِعَاجَ تُوضِحَ فَوْقَهَا وَظِبَاءَ وَجْرَةَ عُطَّفاً أَرْآمُها[4]

حُفِزَتْ وَزَايَلَهَا السَّرَابُ كأَنـها أَجْرَاعُ بِيشَةَ أَثْلُها وَرِضَامُها[5]

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 166.

[2]- شاقتك: حملتك على الاشتياق، الظعن: البعير الذي عليه هودج، و فيه امرأة، التكنس: دخول الكناس، الصرير: صوت الرحل.

[3]- المصدر نفسه، ص ن.

[4]- الزجل : الجماعات، النعاج: اناث بقر الوحش، الآرام: الظباء الخالصة البياض.

[5]- الحفز: الدفع، الأجزاع: منعطفات الوادي، بيشة: واد بعينه، الأثل: شجر يشبه الطرفاء، الرضام: الحجارة العظام.

فكان جمال عيونهن، وهن يرتحلن جماعات كعيون إناث بقر الوحش، وكان عطفهن على أبنائهن، كالظباء، فقد رحلن رفقة صغارهن، آخذات معهن الحياة الجديدة التي يمثلها الصغار.

و يتابع الشاعر الهوادج، و هي تنأى و تختفي بين حجارة الوادي "بيشة" العظام،و هذه المتابعة تصف قسوة الرحيل، و ألمه ووقعه في نفس لبيد .

ترحل النساء تاركات خلفهن أطلالا دارسة، و أرضا قاحلة جف ماؤها، و تحول الطبيعة بين الشاعر، و أحبابه و تفرض عليه الألم، و المعاناة.

كان هذا الرحيل قاسيا؛ فقد اختفت معه مظاهر الخصوبة، كما تلاشت معاني الحياة و أسباب السعادة مع اعتلائهن الهوادج.

ويتجسد عمق الأسى لدى الشاعر عندما يصور لوحة الرحيل، إذ لا ينسى صغيرة و لا كبيرة، راصدا تفاصيل الرحلة إلى أن تختفي الهوادج.

إن الفراق بين لبيد، و نساء الحي يكشف عن فعل الطبيعة الصحراوية القاسية، التي جعلت الرحيل شعيرة من شعائرها، بين الإنسان و مسكنه،إنه الانفصال بين الأرض و الحياة بين الحركة و السكون.

إن رحيل النساء رمز الخصوبة، و تجدد الحياة هو إيذان برحيل معاني الحياة نفسها و زوالها، وحلول الفناء في الأرض.

5- القطيعة:

تتمثل هذه القطيعة في رحيل حبيبة الشاعر "نوار" رفقة نساء القبيلة و قد اختارت الفراق، ووصفها لبيد، و هي تنأى بعيدا لا يعرف لها مقاما، قائلا:[1]

بَلْ مَا تَذَكّرُ منْ نَوَارَ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَصَّعَتْ أَسْبَابُهـا وَرِمَامُهـا

مُرِّيَّـةٌ حَلّتْ بِفَيْدَ وَجَـاوَرَتْ أَهْلَ الْحِجَارِ فأْيْنَ مِنْكَ مَرَامُها

فحبيبته ابتعدت و تقطعت أسباب وصالها، و أي شيء أقسى على المحب من فراق حبيبته فتقلبت المودة، و أيام السعادة، و الوصل إلى قطيعة، و حزن يتملك الشاعر و يجعله يفترض أماكن قد تتواجد بها، فأصلها من قبيلة "مرة" و ربما تكون حلت بقبيلة "فيد" ثم يتذكر البعد المكاني بينهما، بين الشاعر و محبوبته، فيتعذر عليه الوصول إليها،« بل لقد بلغ من قطيعة هذه المرأة له أنها لم تنته إلى مكان معلوم»[2]، وهو ما جعله يفترض أماكن أخرى لتواجدها، رغبة منه في تخفيف ألم القطيعة التي سببتها هذه المرأة التي اختارت مرافقة القبيلة في ترحالها، يقول لبيد: [3]

بِمشَارِق الْجَبَلَيْنِ أَوْ بِمُحَجَّر فَتَضَمَّنَتْها فَـرْدَةٌ فَرُخَامُهَـا

فَصُوَائِـقٌ إِنْ أَيْمَنَت فِمظَنَّةٌ فيها وَحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طِلْخَامُها

و يواصل افتراضاته عن مكان حبيبته النائية التي حال الرحيل بينه و بينها، و أمعنت في البعد ما أدى إلى « انقطاع أمله في الاتصال بحبيبته التي أوغلت متعمدة في البعد عن صاحبها و أسرفت في القطيعة حتى لم يعد هناك ما يدعوا الشاعر إلى الحفاظ عليها»[4]

إذا كان رحيل النساء في الهوادج قد أخذ معه خصب الأرض، فإن رحيل "نوار" رفقتهن قد سلب من لبيد معاني الحياة، و دواعي استمرارها.

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 166.

[2]- محمد زكي العمشاوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص 153.

[3]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 167.

[4]- محمد زكي العمشاوي، المرجع السابق قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص 154.

فالمرأة التي أحبها، و تعلق بها ابتعدت إلى مكان غير معلوم،ومما صعد من معاناته انقطاع الأخبار و استحالة الوصال.

فصورة القطيعة في هذا المشهد بما سببته في نفس الشاعر من انقطاع للأمل في الحياة تعد رمزا من رموز ذهاب الخصوبة و انقطاعها، و مظهرا من مظاهر الموت.

ثانيا : مظاهر الموت في مقطع الرحلة:

اعتاد الجاهلي الرحلة عبر الصحراء حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياته كما صادف خلالها ألوانا شتى من الصراع بين الحيوانات تارة، و بين الإنسان و الحيوان تارة أخرى، و قد شكلت الطبيعة في كثير من الأحيان أحد أطراف هذا الصراع الذي كانت نهايته موت أحد المتنازلين، « و هكذا طفق هؤلاء الشعراء يقرنون تجربة الموت الإنساني بتجربة الموت لدى المخلوقات الأخرى»[1].

وقد نقل لبيد صورا للصراع ؛ الذي كانت نهايته موت أحد الطرفين، كما رصد أيضا مظاهر الضعف الدالة على الإنهاك من خلال وصف ناقته، و تشبيهها بحيوانات الصحراء.

1- مظاهر الموت في وصف الناقة :

اهتم الشاعر بناقته، ووصفها، و قد شهدت معه الصراع ضد الطبيعة، و رافقته في رحلاته فصورها، و هي تسابق الرياح نشيطة سريعة كسحابة أراقت ماءها، كما جسدها متعبة أرهقتها الرحلة في الصحراء.

أ- الناقة المستهلكة:

يصف لبيد ناقته في صورة تدل على عمق المعاناة، و التعب الذي تسببه الرحلة في الصحراء لها، قائلا [2]:

بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً مِنْها فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا[3]

وَإِذَا تَغَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الكَلالِ خِدَامُهَا[4]

فالناقة مع طول الرحلة، و توالي الأيام أعيتها الأسفار، و أدركها الهزال، وزالت عنها قوتها، و نقصت لحمها، فضمر صلبها و سنامها.

---

[1]- أحمد وهب رومية، شعرنا القديم و النقد الجديد، ص 291.

[2]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص168 .

[3]- الطليح: المعيي، أسفار: جمع سفر، الأحناق: الضمر.

[4]- تغالى لحمها: ارتفع إلى رؤوس العظام، من الغلاء و هو الارتفاع.

إن هذا الجسد الضعيف الذي أنهكه السفر، هو صورة لما تعانيه هذه الناقة، فقد «ارتفع إلى رؤوس عظامها، و أعيت و عريت من اللحم، و تقطعت السيور التي تشد بها نعالها إلى أرساغها بعد أعيائها »[1] .

تجسد الناقة المستهلكة صورة للشاعر الذي يرغب في الحركة للتخلص من الثبات الذي شهده الشاعر في الطلل، غير آبه بالتعب الذي تشكله الرحلة في الصحراء، وما تفرضه من أعباء.

إن هذه الناقة مرآة تعكس نفس الشاعر و صراعه ضد الموت، و تفكيره في المصير.

[1] – الزوزنى، شرح المعلقات السبع الطوال، ص 165.

2- مظاهر الموت في وصف الحيوان:

شكل الحيوان جزءا من البيئة الصحراوية فكانت تجمعه مع الإنسان علاقة عداء تارة و علاقة رفقة وأنس أحيانا أخرى، فقد رافقه في دروبه الطويلة، و عايش معه قسوة الصحراء.

وقد نقل لنا الشعر الجاهلي صورا كثيرة عن قصص الحيوان، و صراعه مع الوجود كما اهتم بسرد معارك دارت بين الحيوانات.

و لبيد نقل لنا صورا من هذا الصراع في محاولته لوصف ناقته، إذ شبهها بالسحابة الحمراء، و بالأتان، و فحلها، و بالبقرة المسبوعة.

و قد حاول من خلال هذه القصص إبراز صور الموت المترصد في تلك الصحراء المقفرة.

أ-الحاجة إلى الماء:

من قصص الحيوان التي ذكرها لبيد صورة بديلة عن ناقته، قصة الأتان و فحلها اللذين صادفهما مظهر من مظاهر الموت، إنه الجفاف، و انعدام الماء مع حلول الصيف يقول لبيد [1]:

بِأَحِـزَّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَهَـا قَفْرَ الْمَراقِبِ خَوْفُهَا آرَامُهَا

حَتَّى إِذَا سَلَخَا جُمَادَى سِتَّةً جَزَآ فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا

كانت الأتان تعيش حياة هانئة، هادئة، يحميها فحلها من الصيادين، و قد اكتفيا بالرطب عن الماء، وقد طالت إقامتهما، إذ مضى الشتاء و الربيع، و لكن الحاجة إلى الماء زادت، فقد طال صيامهما عنه، فقررا النزول إلى العين و ورودها.

و في الطريق صادفتهما مصاعب شتى عرقلت الوصول إلى غايتهما، يقول لبيد [2]:

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص169 .

[2]- المصدر نفسه، ص ن .

وَرَمَى دَوابِرَهَا السَّفَا وَتَهَيَّجَتْ رِيحُ المَصَايِفِ سَوْمُهَا وَسِهامُهَا

و قد أصاب حوافر الأتان، و هبت الريح الصيفية، بشدة حرها، و أصبح الماء ضرورة لا يستطيع كلاهما الاستغناء عنها.

فتخوض الأتان و فحلها الصراع من أجل استبقاء الحياة، إنه الصراع ضد الموت المهدد الذي يسببه انعدام الماء، و قوة الحاجة إليه.

إن معاناتهما من أجل ورود العين يبين مكانة الماء في حياتهما، إذ إنه رمز لبقائهما واستمرارهما، وقد شكلت حاجتهما إليه، صورة من صور تهديد الموت و اقترابها.

فهذه القصة تبين قيمة الماء في الصحراء، كما توضح وجها من أوجه الصراع الذي يعيشه الجاهلي ضد الطبيعة؛ التي شحت بمائها، وزاد من ألم الأتان و فحلها هبوب الرياح الجافة التي عمقت الإحساس بوقع الموت.

إن مشهد الحاجة إلى الماء، الذي ورد في معرض قصة الحيوان، إنما يصور الموت المهدد في الصحراء للإنسان، و الحيوان معا، و يتحكم في حياتهما.

ب- صورة البقرة الوحشية:

اهتم الشاعر الجاهلي بوصف الحيوان في شعره، و تجسيد صراعه ضد البيئة من جهة وضد الإنسان من جهة أخرى، « وقد تفنن الشاعر العربي قديما في وصف الناقة رفيقته الدائمة في خوض الصراع مع الحياة، فكان لشدة اهتمامه بها يشبهها بالثور الوحشي أو الظليم، أو حمار الوحش »[1].

و لعل من بين هذه التشبيهات المتداولة، صورة البقرة الوحشية بما تحمله قصتها من معاني الموت، و الصراع من أجل البقاء.

[1]- نور الدين السد، الشعرية العربية، دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص 354 .

و قد أثار" الجاحظ "هذه القضية في قوله: « ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش، و إذا كان الشعر مديحا أن تكون الكلاب هي المقتولة » [1].

"فالجاحظ" حدد مواضع القتل في وصف هذا الحيوان تبعا للغرض العام للقصيدة.

و يبين لبيد بن ربيعة في المعلقة هذا الصراع الذي يخلف قتلى على الأرض، كما أنه يذكر صراعا آخر مع الإنسان من جهة، و مع الدهر و البيئة من جهة أخرى.

[1]– الجاحظ،(أبو عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابلي الحلبي و أولاده، مصر، 1385 هـ– 1965 م، ج2، ص 260.

ب1- صورة القتل:

يشبه الشاعر ناقته بالبقرة المسبوعة التي ضيعت صغيرها، قائلا [1]:

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحشِيَّـــةٌ مَسْبُوعَـــةٌ خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ الصِّوَارِ قِوامُهَا

خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ عُرْضَ الْشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا

تسعى البقرة لتحصيل الغذاء لصغيرها و تحرص أن تكون في المقدمة، و أن تحافظ على حياته، و لكن في غفلة منها تترصده السباع و تنال منه، يقول لبيد[2]:

لِمعَفَّـــرٍ قَهْـدٍ تَنَازَعُ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبُ لا يُمَنَّ طَعامُها[3]

صَادَفْنَ منهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا إِنَّ الَمنايَا لا تَطِيشُ سِهَامُها

و تزداد صورة القتل حدة، و بشاعة؛ ذلك أن « ولدها لم يبق منه غير جثة ملقاة على الأرض قد عفرها التراب، و أحال لونها الأبيض إلى لون رمادي، و تجاذبت أشلاءها و بقاياها كلاب مدربة قادرة على الفتك بفريستها و النيل منها »[4].

و تتخذ هذه المسألة دلالة أعمق على فظاعة هذه الحادثة حين يتضح أنها بفعل القدر ذلك أن الموت لا تخطئ سهامها، و أي قوة تستطيع الوقوف في وجه القدر، أو منع حدوثه إنها مأساة المصير المحتوم الذي فرض على كل مخلوق.

تأسى البقرة لهذا الفراق الأبدي و لسطوة القدر، الذي اختطف صغيرها في غفلة منها.

و تشارك عناصر الطبيعة في رسم عذاب البقرة، و تعميقه، يقول لبيد[5]:

بَانَتْ وَأَسْبَلَ وَاكِفٌ من دِيَمةٍ يُرْوِي الْخَمائِلَ دائِماً تَسْجَامُها

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُها

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 171.

[2]- المصدر نفسه، ص ن.

[3]- العفر: أديم الأرض، التنازع: التجاذب، الشلو: العضو، الغبس: لون كلون الرماد، المن: القطع.

[4]- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص 169.

[5]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 172.

و كأن الحزن الذي ألم بالبقرة لم يكن كافيا لتنصب عليها قوى الطبيعة، فتزيد الألم حدة إذ تواتر المطر على ظهرها ، و كأنه يبكي صغيرها، في ليلة اختفت نجومها خلف السحب.

و هذا « دلالة على أن كل ما في الطبيعة كان قاسيا، و هكذا لم تكن الليلة إلا انعكاسا لما في أعماق البقرة من ظلمة و سواد »[1]، وهو سواد خلفه الفراغ القاتل بسبب فراق صغيرها.

في تلك الليلة و في ذلك الجو الكئيب تسعى للاحتماء من المطر، يقول لبيد:[2]

تَجَتَافُ أَصْلاً قالِصاً مُتَنَبِّذاً بعُجُوبِ أَنْقَاءِ يَميلُ هُيامُها

و لا تجد البقرة إلا شجرة لا تقيها البرد، والمطر فقد تقلصت – الشجرة – من شدة الريح والمطر «بل لقد كانت منبوذة عن سائر الشجر، و قد انتحت مكانا قصيا»[3].

إن حالة هده الشجرة تشبه وضعية البقرة التي ابتعدت عن قطيعها، إنهما تتشاركان في جزء من المعاناة.

كما أن كثبان الرمل أيضا عملت على إبراز الجو الحزين؛ فهي لم تقو على التماسك فانهارت تناغما مع الريح العاتية، و الأمطار المتواترة، التي تشارك البقرة حزنها و ألمها.

و بهذا يقدم لبيد صورة القتل، و هو يحكي قصة البقرة المسبوعة، وما أمضته من حزن في ليلة « تعاونت فيها كل مظاهر الطبيعة على إشاعة هذا الجو الحزين، و شاركت في إسدال سحب من الهموم، انتشرت في الجو كله فأكسبته ظلاما حالكا »[4].

إن صورة القتل المتمثلة في صغير البقرة ما هي إلا انعكاس لسطوة الدهر على الإنسان و حتمية الموت.

---

[1]– محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص 172 .

[2]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص172 .

[3]– محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص 172 .

[4]– المرجع نفسه، ص170 .

ب2-العجز عن الإجابة:

كان مشهد صغير البقرة مقتولا صدمة كبيرة، فقد غفلت لمدة قصيرة، فوجدته أشلاء بعد أن مزقته السباع فلم تتقبل هذا الواقع الماثل أمامها، بل راحت تبحث عنه – صغيرها- و قد عم صياحها، و طوافا المكان، يقول لبيد:[1]

خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ عُرْضَ الْشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا

فهي لم تستطع تصديق ما حدث، « بل أخذت تقطع المكان كله، تروح فيه و تجيئ و ترسل صيحاتها هنا، وهناك منادية على و لدها، فتذهب صيحاتها سدى »[2].

إنها بهذا النداء المتواصل تستنكر ما حدث لصغيرها، و تعلن بصيحاتها شعار رفض لهذا الموت الخادع، الذي جاء على حين غفلة منها. إنها تأبى الرضوخ للواقع الماثل أمامها ممثلا في الجثة، وتحاول استدعاء واقع جديد تدفع به الموات الذي تراه، و تعيد الحياة لصغيرها، ولكن أنى للميت أن يجيب، أو أن يعود.

إن الحزن الذي اعتراها، و ساهمت الطبيعة في تعميقه لم يكن لينجلي، و لم تكن البقرة لتفقد الأمل في حياة ابنها، إنه إصرار الأم و عطفها والرغبة في بث الحياة من جديد.

و لم تكن الأيام كفيلة بأن تنسي البقرة حزنها، فقد ظلت حزينة جزعة لسبع ليال متواليات يقول لبيد:[3]

عَلِهَتْ تَرَدَّدُ في نِهاءِ صُعَائِدٍ سَبْعاً تُؤاماً كاملاً أَيَّامُها[4]

حتى إذا يَئِسَتْ وأَسْحَقَ حَالِقٌ لم يُبْلِهِ إِرْضَاعُها وَفِطامُها[5]

و استمرت البقرة في حزنها سائرة في غدران "صعائد"، ليال عديدة بأيامها طلبة ولدها الذي لا يجيب.

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص171.

[2]- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص 169 .

[3]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص173.

[4]- الهلع: الانهماك في الجزع، النهاء: الغدير، الصعائد: موضع بعينه، التؤام: ج تؤم.

[5]- الإسحاق: الإخلاق، الحالق: الضرع الممتلئ لبنا.

ينقل لبيد الصورة التي آلت إليها البقرة؛ فقد جف ضرعها من اللبن، ذلك أنه « حين يأتي اليأس يأتي الجفاف، الذي يحل في الضرع الذي توقف عن منح الحياة »[1] فكان فقدان الصغير سببا لذهاب معاني الحياة بالنسبة للبقرة، فجف ضرعها.

إن عدم الإجابة على نداء البقرة المتواصل، دليل على أن هذا الصغير قد مات، موتا مطلقا لا عودة فيه، و لن يعيده إلى الحياة، لا الصياح، و لا السعي في الأماكن ذهابا و إيابا.

هذا السكوت، والجماد الذي تمثله جثة الصغير، وعدم الإجابة، هو صورة من صور انهزام الإنسان أمام الكون، وعدم قدرته على حماية حياته.

ب3- صورة المطاردة:

تظهر البقرة المسبوعة من خلال المعلقة، و هي تخوض معارك ضد الطبيعة و الإنسان، و الحيوان فتنتصر أحيانا، و تنهزم أحيانا أخرى، فبعد أن تواجه ما فرضه عليها القدر من وفاة صغيرها تجد نفسها أمام عدو آخر، إنه الإنسان، «و هو عدوها الأول الذي لا يفتأ ينتهز الفرص للقضاء عليها، و اقتناصها »[2]، تسمع صوته فجأة لكنها لا تراه مما يصعب عليها الهرب، فهي لا تعرف أي اتجاه تسلك، كما لا تستطيع تحديد مكانه يقول لبيد [3]:

وَتَوَجستْ رِزَّ الأَنِيسِ فَراعَها عنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالأَنِيسُ سقامُها

فَغَدَتْ كِلا الْفَرْجَيْنِ تَحْسبُ أَنَّهُ مُوْلَى الَمخَافَةِ خَلْفُهَا أَمَامُها

حتى إِذا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا غُضْفاً دَوَاجِنَ قافِلاً أَعْصامُها

[1]- كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، ص79.

[2]- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص 175.

[3]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص ص 173 ، 174 .

تستطيع البقرة النجاة من معركتها مع الإنسان الذي يئس من إصابتها، لتدخل في معركة جديدة مع كلاب مدربة اعتادت الصيد، يقول الشاعر [1] :

فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لها مَدْرِيَّةٌ كالسَّمْهَرِيَّـةِ حَدُّهَـا وَتَمامُهـا

لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إِنْ لم تُذُدْ أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الحُتُوفِ حِمامُها

استطاعت هذه الكلاب أن تلحق بالبقرة الحزينة؛ التي أنهكها الجزع، و القهر فأدركت أنها إن لم تدافع عن نفسها فستهلك لا محالة أمام هذه الكلاب، فطعنتها بقرنها الحاد خوفا من الموت المترصد بأنياب هذه الكلاب، فكان قرنها كالرمح بالمرصاد لها .

ثم ينتقل الشاعر ليحكي تفاصيل هذه المعركة قائلا : [2]

فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ فَضُرِّجَتْ بِدَمٍ وَغُودِرَ في الَمكَرِّ سُخَامُها

كانت هذه الكلبة من أوائل الكلاب اللاحقين بها فقتلتها، و تركتها ملطخة بالدم لتلحق أيضا "سخام" فتنال المصير نفسه .

إن هذا الصراع الدامي بين البقرة و الكلاب، هو محاولة لانتصار الحياة و هزيمة الموت، الذي يبدو مترصدا قانصا يتحين الفرصة ليهلك المخلوقات.

و بهذا تبدو المطاردة صورة لصراع الإنسان ضد الطبيعة من جهة، و ضد بني جنسه من جهة أخرى.

---

[1]– لبيد بن ربيعة، الديوان، ص175.

[2]– المصدر نفسه، ص174 .

ثالثا : مظاهر الموت في المقطع الأخير:

خص لبيد بن ربيعة هذا المقطع بالفخر بنفسه، و الحديث عن لهوه، و كرمه و شجاعته و لم ينس قبيلته، فافتخر ببطولاتها، و خصالها، و عدلها، لكن هذا كله لم يثنه عن ذكر مظاهر للموت في هذا الفخر.

فعلى الرغم من أنه في مقام التعالي بشجاعته، و التسامي بمكانة قبيلته، فإنه لم ينس الموت الراصد المتربص في كل مكان يتحين غفلة من الإنسان .

ومن مظاهر الموت التي ذكرها لبيد الحرب، وما يترتب عنها من آثار سلبية على القبائل.

1- صورة الحرب:

شكلت الحروب أبرز أسباب الفناء في مجتمع جاهلي قبلي دستوره الثأر، ووسيلة عيشه الإغارة، و غايته حفظ البقاء.

فمن خلالها أدرك أن الموت سيطرق بابه يوما في حرب، أو غارة؛ فوصف في شعره الحرب وما أعد لها من عتاد.

فمعلقة لبيد بن ربيعة لا تخلو من وصف الحرب، و مظاهرها، وما تستلزمه من بأس و قوة يقول [1]:

وَلَقَدْ حَمَيْتُ الحَيَّ تحْمِلُ شِكَّتي فُرْطٌ وِشاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجامُها

فَعَلَوْتُ مُرْتَقَباً على ذِي هَبْــوَةٍ حَــرْجٍ إِلَــى أَعْلاَمِهِـنَّ قَتامُهــا

فالشجاعة أمر ضروري في الحروب، و الغارات من أجل الدفاع و حفظ البقاء؛ لذا يفخر الشاعر بكونه شجعان قومه .

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 176.

ولا ينسى حظ الفرس في المشاركة في هذه الحروب فيصفها و صفا دقيقا مركزا على سرعتها، و ذلك في قوله[1]:

أَسْهَلْتُ وَانْتَصَبَت كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ جَـرْداءَ يَحْصَـرُ دُونَـها جُرَّامُـها

رَفَّعْتُهـــا طَـرْدَ النّعــامِ وَشَلّــهُ حتّى إذا سَخِنَتْ وَخَفّ عِظامُها

قَلِقَــتْ رِحَالَتُهـا وَأَسْبَلَ نَحْرُهـــا وَابْتَلَّ مِن زَبَدِ الحَمِيــمِ حزَامُـها

تَرْقَى وَتَطْعَنُ في الْعِنانِ وَتَنْتَحِي وِرْدَ الْحَمامَــةِ إِذْ أَجَدَّ حمامُـها

فالفرس السريعة القوية تستطيع احتمال الحروب أكثر من الفرس الهزيلة.

إنـه يصـور نفسـه فـي المقطـع بطـلا لا يهـزم، « يكشـف عـن العـدو، و يعـرف أمـاكن تجمعه فيعتلي بفرسه جبلا عاليا، و قد تجمع حوله فرق من الأعداء، و قبائلهم، و انتشر من جنودهم غبار كثيف أحاط بقمم الجبال »[2].

فكانت الجيوش بهذا رمزا لإنزال الفناء، و الدمار بالعدو، نتيجة ما تخلفه الحروب من أرواح تزهق، و دماء تراق.

و بهذا فالحرب في هذا المقطع صورة من صور الدمار، و مظهر من مظاهر الموت في المعلقة، ووجه من أوجه صراع الإنسان مع بني جنسه و هو أقسى صراع، إذ تتجاوز الخسائر المعقول، فتباد بعض القبائل حتى لا يبقى منها إلا آثار بالية، و جثث هامدة تجسد الموت في أعمق معانيه.

---

[1]- لبيد بن ربيعة، الديوان، ص ص 176 ، 177 .

[2]- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص 181.

خاتمة:

بعد هذه الرحلة الممتعة في رحاب الشعر الجاهلي وفي معلقة لبيد بن ربيعة رغبة في الكشف عن جدلية الحياة والموت توصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يلي :

- مثلت معلقة لبيد بن ربيعة مرآة عاكسة لمفارقة الحياة والموت على النحو الآتي:

- صورة الماء رمز للحياة، والنماء وهو ما بعث الحياة الجديدة المتزامنة مع توفره.

- مثل النبات والحيوان أهم مظاهر الخصب، والتجدد، والحركة في المعلقة.

- صوّرت المرأة في المعلقة الرغبة في الحياة والخصوبة ، وأهم دعائم الاستمرار ما أدى بالشاعر إلى محاولة استبقائها.

- حضور الوشم الذي تتزين به المرأة في المعلقة رمز لتجدد الحياة ومواجهة الفناء.

- يتخلص الشاعر من الثبات بامتطاء ناقته القوية النشيطة المفعمة بالحياة.

- تمثل الناقة المعادل الموضوعي للشاعر الذي نقل من خلاله أحاسيسه.

- تظهر الناقة في صورة سحابة تخلصت من مائها لتدعم صفات السرعة والقوة والنشاط.

- من الصور البديلة عن الناقة صورة الأتان الحامل بما تمثله من حياة، وما كان من معاناتها مع فحلها، لتنتصر إرادة الحياة في الأخير بورود الماء.

- من الصور البديلة عن الناقة صورة البقرة المسبوعة ، التي في سعيها إلى تحصيل الغذاء طلب لاستمرار الحياة ورغبة في البقاء.

- يظهر دفاع البقرة عن نفسها استبقاءا للحياة وطردا للموت.

- يصور الشاعر الحالة التي آلت إليها البقرة بعد تضييعها لصغيرها منظرا لصراع الإنسان مع الدهر والبيئة.

ـ يُعبر المطر عن الحياة التي تنبثق من الموت ويعد رمز الخصب والنماء.

ـ مثّل الخمر أهم الوسائل المتاحة في العصر الجاهلي لتجاوز أزمة الموت عن طريق الاستمتاع.

ـ و الكرم في المعلقة من أهم الوسائل التي يتبعها الجاهلي رغبة في تخليد اسمه وبقاء ذكره بعد موته.

ـ و الشجاعة رمز للرغبة في الحفاظ على الحياة وتحدي الطبيعة القاسية، وذلك بالدفاع عن القبيلة.

ـ في المقابل، تصور المعلقة مظاهر للموت والفناء التي تتمظهر في ما يلي:

ـ مثل الهدم والتعرية في الطلل صورة للحياة الغائبة وما حدث لهذه الديار من فناء وتدمير وهذه الصورة رمز لعجز الإنسان عن صيانة وجوده الحضاري أمام الطبيعة.

ـ صورة الهجر من الطلل تعتبر رمزا لانعدام الحياة ورحيلها.

ـ عجز الطلل عن الكلام صورة لعجز الإنسان أمام الطبيعة وعدم قدرته على تغيير ما أحدثته.

ـ شكل رحيل المرأة رحيلا للحياة وغيابا للخصوبة.

ـ كانت الناقة المستهلكة خير مثالا لتجسيد الألم الذي يحسه الشاعر جراء الرحلة الدائمة.

ـ إن قصة الأتان وفحلها مثلت حاجة الإنسان للحياة واستمرارها.

ـ أما قصة البقرة المسبوعة فتمثل سطوة الدهر والفناء المطلق الذي آل إليه الصغير.

ـ كما جسدت قصتها الصراع مع مختلف أنواع الأعداء من إنسان وحيوان وطبيعة.

ـ إن الحروب من أهم عوامل الموت في الجاهلية إذ كانت تخلف العديد من القتلى وتبيد القبائل.

ـ المعلقة إجمالا هي صورة لجدلية الحياة والموت التي تجلت بوضوح في مقاطعها.

وأخيرا كان الشاعر الجاهلي مدركا لما يحيط به من ظروف؛ فقد أرقه سؤال الموت ومصير الإنسان، وكيفية قضاء حياته في نطاق منظومته الاجتماعية بأفكارها، وتقاليدها فتجلى ذلك من خلال شعره.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا– القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع. ط4، اليمامة للطباعة و النشر والتوزيع ، دمشق ،2010م.

ثانيا – المصادر :

1- الأصفهاني، (أبو الفرج): الأغاني. د ط، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ج14، د ت .

2- أوس بن حجر، الديوان، تحقيق: محمد يوسف نجم. د ط، دار بيروت، لبنان، 1400ه 1980م.

3- امرؤ القيس، الديوان، تحقيق: حسن السندوبي. ط5، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان1425ه 2004م.

4- الجاحظ،(أبو عثمان عمرو بن بحر): الحيوان، تحقيق:عبدالسلام محمد هارون. ط2 شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، مصر، ج2، 1385ه، 1965م.

5- الجمحي،(محمد ابن سلام): طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر. ط1 دار المدني، جدة، 1992م.

6- حاتم الطائي، الديوان. ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1994.

7- الزمخشري،(أبو القاسم محمود بن عمر)، الكشاف، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود علي محمد عوض. ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، ج1997،5 م.

8- الزوزني،(أبو عبد الله الحسن بن أحمد)، شرح المعلقات السبع الطوال. ط1، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، لبنان، د ت.

9- طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق: درية الخطيب، لطفي الصقال. ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،لبنان، 2000م.

10- عبيد بن الأبرص، الديوان. ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1414ه،1994م.

11- عمرو بن كلثوم، الديوان، تحقيق: اميل بديع يعقوب.ط1،ن دار الكتاب العربي، بيروت لبنان 1411هـ، 1991م.

12- لبيد بن ربيعة، الديوان. ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1969م.

ثالثا-المراجع:

1- أحمد أمين، فجر الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969م.

2- أحمد وهب رومية شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون والآداب الكويت، 2000م.

3- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي. ط 1، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن 1429هـ، 2008م.

4- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط1، عين للبحوث والدراسات الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، ج5، 1413هـ، 1993م.

5- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي.ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج5 1993م.

6- حنى عبد الجليل يوسف، الأدب العربي قضايا وفنون و نصوص. ط1، مؤسسة المختارالقاهرة 2001م.

7- زياد محمد مقدادي، المقدمة الطللية عند النقاد المحدثين.ط1، عالم الكتب الحديث بيروت، لبنان 1431هـ، 2010م.

8- سامي سويدان، في النص الشعري العربي، مقارنات منهجية. ط1، دار الأدب، بيروت 1979م.

9- سعيد حسن كموني، الطلل في النص العربي، دراسة في الظاهرة الطللية مظهرا للرؤية العربية ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، 1419هـ، 1999م.

10- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي. ط22، دار المعارف، القاهرة 1960م.

11- طه حسين، حديث الأربعاء. ط14، دار المعارف، ج1، القاهرة، د ت.

12- عبد الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، ط1، مركز زيادة للتراث والتاريخ، 1421هـ 2001م.

13-عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي.ط1، دار الجيل، بيروت 1992م.

14- علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني هجري. ط3، دار الأندلس بيروت، لبنان، 1983م.

15- غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، أعلامه فنونه. ط1 دار الإرشاد، بيروت، 1992.

16- فضل بن عمار العماري، الدم المقدس عند العرب. ط1، مكتبة التوبة، الرياض 1425هـ 2008م.

17- كمال أبوديب، الرؤى المقنعة. دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م.

18- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية بيروت لبنان،1979م.

19- محمد غنيمي هلال، في النقد التطبيقي والمقارن. د ط، دار نهضة مصر، الفجالة القاهرة، د ت.

20- محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم. ط1 عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995م.

21- مصطفى عبد اللطيف جياؤوك، الحياة والموت ف الشعر الجاهلي. ط5، دار صفاء للنشر، عمان 2001م.

22- نور الدين السد، الشعرية العربية، دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي د ط، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1995م.

رابعا– الرسائل الجامعية:

1- ابتسام نايف صالح أبو الرب،صورة الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير)،ن جامعة النجاح الوطنية في نابلس، إشراف:، إحسان الديك، 2006م.

2- سعد عبد الرحمن العرفي، سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي، دراسة في المضمون والنسيج الفني (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى، إشراف: عبد الله إبراهيم الزهراني،1426هـ.

3- فوزية زوباري، الغزل عند الشعراء السود،(رسالة ماجستير)، معد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية، إشراف: أسعد علي، د ت.

خامسا– المجلات:

1- عصام المشهراوي، مجلة جامعة الأزهر بغزة سلسلة العلوم الإنسانية، العدد2، المجلد 14جويلية2010م.

فهرس المو ضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
المدخل: الشاعر وعصره	2
أولا ـ التعريف بالشاعر	2
ثانيا ـ أثر البيئة في الشعر الجاهلي	4
1 ـ تأثير فكرة الحياة والموت في الشعر الجاهلي	4
2 ـ نظرة الجاهلي للوجود	9
الفصل الأول: مظاهر الحياة في معلقة لبيد بن ربيعة	15
أولا ـ صور الفناء في الطلل	15
1 ـ صورة الماء في الطلل	16
2 ـ صورة النبات والحيوان في الطلل	18
3 ـ صورة المرأة في الطلل	20
ثانيا ـ مظاهر الحياة في مقطع الرحلة	25
1 ـ مظاهر الحياة في وصف الناقة	25
أ ـ الناقة القوية	25
2 ـ مظاهر الحياة في وصف الحيوان	27
أ ـ صورة الأتان الحامل	27
ب ـ صورة البقرة الوحشية	30
ب1 ـ السعي لتحصيل الغذاء	30
ب2 ـ الدفاع عن النفس	31
ب3 ـ صورة المطر	33

ثالثا- مظاهر الحياة في المقطع الأخير	35
1- الخمر	35
2- الدفاع عن القبيلة	36
3- الكرم	38
الفصل الثاني: مظاهر الموت في معلقة لبيد بن ربيعة	43
أولا- صور الفناء في الطلل	43
1- صورة الهدم والتعرية في الطلل	43
2- صورة الهجر في الطلل	45
3- عجز الطلل عن الإجابة	47
4- رحيل المرأة	49
5- القطيعة	51
ثانيا- مظاهر الموت في مقطع الرحلة	53
1- مظاهر الموت في وصف الناقة	53
أ- الناقة المستهلكة	53
2- مظاهر الموت في وصف الحيوان	55
أ- الحاجة إلى الماء	55
ب- صورة البقرة الوحشية	56
ب1- صورة القتل	58
ب2- العجز عن الإجابة	60
ب3- صورة المطاردة	61
ثالثا- مظاهر الموت في المقطع الأخير	63
1- الحرب	63
خاتمة	65

قائمة المصادر والمراجع	68
فهرس الموضوعات	72
ملخص باللغة العربية	
ملخص باللغة الأجنبية	

الملخص:

حاول هذا البحث أن يدرس جدلية الحياة و الموت في معلقة لبيد بن ربيعة لما لهذه الثنائية – الحياة و الموت– من أهمية في حياة الجاهلي و في شعره.

و قد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي لتحقيق أهدافها المرجوة، و بنيت على خطة قوامها: مدخل، و فصلان، و خاتمة.

تناول المدخل حياة الشاعر و عصره، ودرس أثر البيئة في الشعر الجاهلي و في تشكيل فكرة الحياة و الموت، كما نقل نظرة الجاهلي للوجود.

أما الفصل الأول فخصص لمظاهر الحياة في معلقة لبيد بن ربيعة من خلال مقاطعها حيث تتغلب إرادة الحياة في الطلل، و الصراع من أجل الاستمرار في مقطع الرحلة، و حفظ البقاء في المقطع الأخير.

أما الفصل الثاني فتطرق إلى مظاهر الموت في المعلقة، فصور الفناء في الطلل، و سطوة الدهر في مقطع الرحلة، و مظاهر الموت في المقطع الأخير.

أما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

Résumé :

Cette étude a essayé de faire des études sur la dialectique de la vie et la mort dans l'affiche poétique de Labid Ibn Rabia parce que ces bilatérale – la vie et la mort – sont importants dans la vie de l'homme de l'ère préislamique et dans sa poésie.

Cette étude est basée sur l'approche descriptive afin d'obtenir objectifs souhaités, elle est construit sur un plan dépend d'une entrée, deux chapitres et une conclusion.

Le premier chapitre traite de la vie du poète et son temps, étudié aussi l'impact du l'environnement en poésie préislamique et comment il a formé l'idée de la vie & de la mort, il a également transmet le regard de l'homme préislamique pour l'existence.

Le premier chapitre a été consacré aux apparences de la vie dans l'affiche poétique de Labid Ibn Rabia à travers ses couplets. Quand surmonter la volonté de vie et le conflit afin de continuer dans le couplet de voyage et de province de rester.

Le deuxième chapitre a traité les aspects remarquables la mort dans l'affiche poétique, il a caractérisé de la mort et de l'influence de l'âge dans le couplet de voyage et les aspects de la mort dans le dernier couplet.

La conclusion comprend les principales résultats de l'étude.